شرح رسالة

فضل الإسلام

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

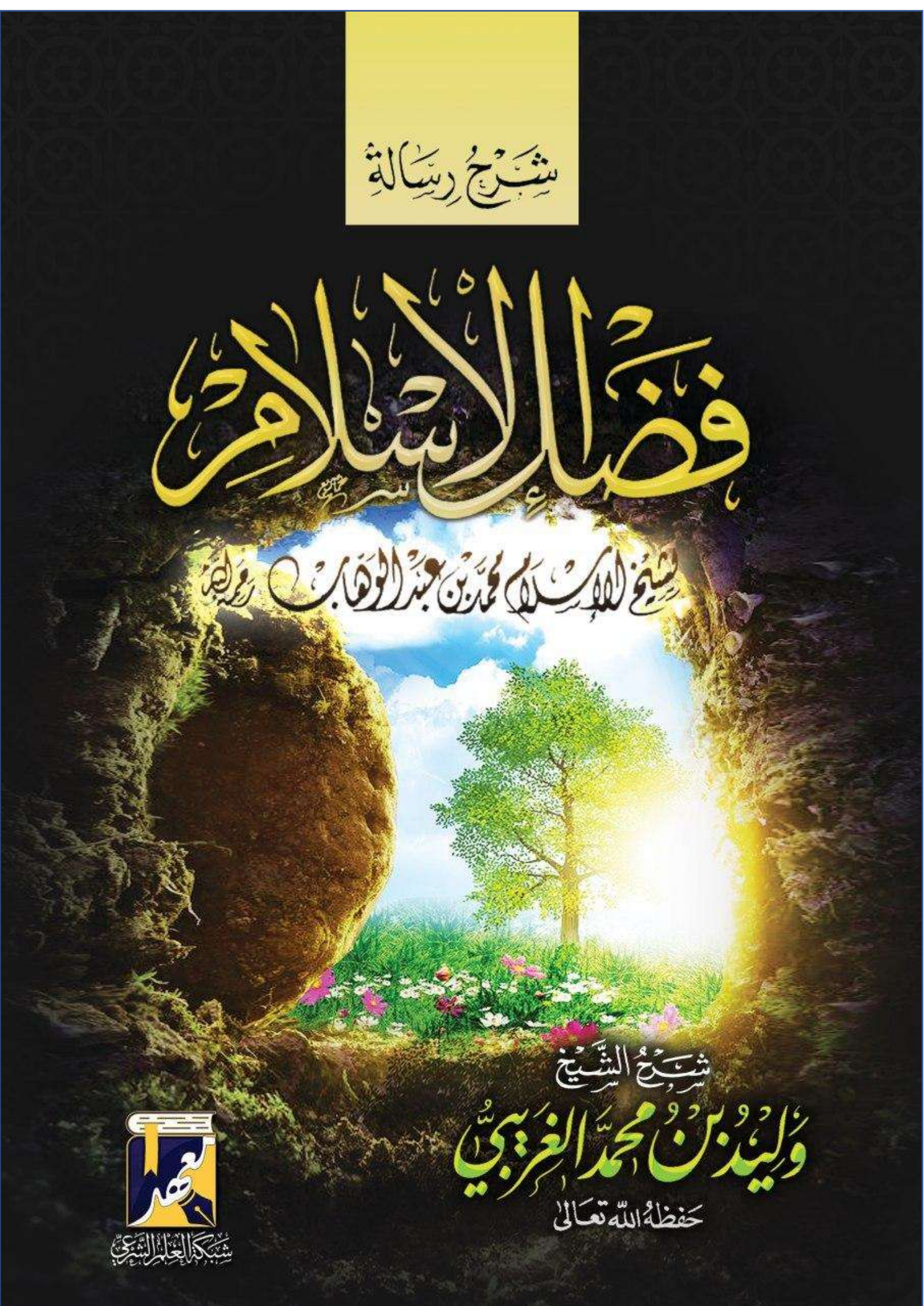

شرح الشيخ

وليد بن محمد الغريبي

حفظه الله تعالى

معهد
شبكة العلم الشرعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس الأول

الحمد لله رب العالمين، الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، وجعلنا من أتباع خير المرسلين، وأفضل العالمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:

فهذا هو الدرس الأول من شرح رسالة فضل الإسلام للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمة الله علينا وعليه،

وهذه الرسالة من أنفع وأجلِّ ما كتبه ذلك الإمام المجدد رحمه الله، وهي من أعظم الرسائل التي يحتاج إليها المسلمون في معرفة دين الإسلام معرفةً صحيحةً سليمةً من الشوائب،

وموضوعها متعلقٌ بتوحيد المتابعة، وبالمنهج الصحيح الذي يسير عليه المسلم، ويعبد ربه ﷻ عبادةً يرجى لها القبول، وإن كان اسم هذه الرسالة «فضل الإسلام» يُشْعر بأن هذه الرسالة كلها متعلقة بفضائل الإسلام.. لكن المؤلف رحمه الله سماها بهذا الاسم لأن أول بابٍ فيها هو فضل الإسلام وإلا فجميع الأبواب في هذه الرسالة تتعلق بما أسلفنا وهو توحيد المرسَل يعني توحيد المتابعة للنبي ﷺ فالعلماء نصوا أن التوحيد على قسمين توحيد المرسل–بكسر السين– وهو توحيد الله ﷻ في عبادته وهذا ما مر معنا في بعض الرسائل السابقة، وتوحيد المرسل– بفتح السين– وهو توحيد المتابعة ألا يتبع ولا يقتدى إلا برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة الأحزاب:٢١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [سورة الحشر:٧].

وهذه الرسالة المهمة من حفظها، وضبطها، وفهم معناها، وتفوق في امتحانها إن شاء الله يعطى إجازة؛ سنداً متصلاً إلى المؤلف رحمة الله علينا وعليه.. نسأل ﷻ بأسمائه الحسنى

وصفاته العليا أن يجعل هذه الدروس وما علِمْناه وما علَّمْناه حجةً لنا لا علينا، نسأل الله ﷻ أن ينفعنا جميعاً وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين.

قال المصنف رحمه تعالى: باب فضل الإسلام

الفضل في اللغة بمعنى الزيادة كما ذكر ذلك ابن فارس رحمه الله تعالى وغيره من أهل اللغة.

فالإسلام فَضُلَ غيره من الأديان بأنه خيرها، وأكرمها، وأشرفها، وهو ناسخها، فكل دين سوى دين الإسلام فإنه باطل، وإن كان أصله مشروعاً قبل دين الإسلام لكن دين الإسلام الذي بُعث به خير الأنام ﷺ هو الدين الذي رضيه الله ﷻ، ولا يقبل ديناً سواه، وما سبقه من الأديان فمنها المحرف، ومنها المنسوخ بهذا الدين العظيم.

والإسلام يا أخوتي الكرام له إطلاقان في كتاب ربنا ﷻ ففي بعض الآيات يُراد به جميع الأديان التي بعث الله ﷻ بها الرسل، فكلها ترجع إلى الإسلام، وكل الأنبياء بعثوا بالإسلام كقوله تعالى :﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة البقرة:١١٢]. هذا إسلام عام كل الأنبياء بعثوا به، لكن الإسلام بالمفهوم الخاص هو ما جاء به محمد بن عبد الله ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران:٨٥].

والإسلام معناه: الاستسلام لله ﷻ، وقد سبق معنا في شرح ثلاثة الأصول أن الإسلام: هو الاستسلام له بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

قال: وقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣].

هذه الآية العظيمة لها شأنٌ كبير في هذا الدين العظيم، وذلك لأنها تدل على إكمال دين الإسلام، وإتمام النعمة على المسلمين، والتي فيها رضا رب العالمين بهذا الدين، ورضاه عمن عمل به واتَّبعه، ولذلك فقد ثبت في الصحيحين عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا نَزَلَتْ مَعْشَرَ الْيَهُودِ ؛ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: وَأَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾. فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ ؛ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَفَاتٍ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ.(١)

فهذه الآية الجليلة ينبغي أن نتدبرها، وأن نحمد الله ﷻ حمداً كثيرا على إنزال هذه الآية العظيمة التي تدل على عظمة الإسلام، وعلى فضله على جميع الأديان، وعلى شموليته هذا الدين لجميع عبادات المسلمين، ومعاملاتهم، ودينهم ودنياهم؛ فالله ﷻ بيَّن فضيلة الإسلام بقوله: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فدين الله ﷻ كامل في جميع العقائد، وفي جميع المعاملات، والعبادات، والسلوكيات، والمناهج التي يسير عليها المسلمون، فهذا من أعظم فضائل الإسلام أنه دينٌ كامل لا يحتاج إلى مزيدٍ من الآراء، ولا إلى دخيلٍ من الأفكار، والآراء ولا يحتاج على مر العصور والدهور إلى قيام الساعة إلى تغيير وتبديل كما هو شأن قوانين وأنظمة البشر .

- وفي هذه الآية الكريمة ردٌ على جميع أهل البدع الذين يستحسنون بدعاً يتقربون بها إلى الله ﷻ لأن الله ﷻ قد أكمل لنا الدين فالذي يأتي بشيءٍ مخترع، وشيئاً أنه يزعم أن الدين ناقض ولذلك قال الإمام مالك بن انس رحمه الله «من ابتدع في الإسلام بدعة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة».

ولذلك كان من أعظم الحجج والردود التي فتكت بأهل الأهواء والتي خُصموا بها على الملأ أن قيل لبعضهم:

هل علم رسول الله ﷺ هذه البدعة التي أتيت بها؟

فكان الجواب بلا شك لا لم يعلمها الرسول ﷺ.

فهل أنت أيها المبتدع أعلم من رسول الله ﷺ وإن كان علمها الرسول ولم يعمل بها فهل وسعك شيءٌ لم يسع رسول الله ﷺ؟

فهذه من أعظم الحجج الدامغة لجميع أهل الأهواء.

- وأيضاً فيها ردٌ على الذين يطعنون في دين الإسلام بأنه لا يتناسب في بعض مجالات الحياة وفي كل العصور، وفي كل البلدان، وأننا صرنا في زمان يختلف عن الأزمان الحجرية أو المتحجرة السابقة.

---

(١) صحيح البخاري ٦/ ٥٠ ح(٤٦٠٦) ومسلم (٣٠١٧)

– وأيضاً فيها رد على العلمانيين الذين يفصلون الدين عن الدولة، ويفصلون الدين عن الدنيا، وعن المعاملات فالله ﷻ أكمل الدين بما يصلح في جميع شؤون الحياة قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء:٩].

وأفضل وأحسن في جميع المجالات وكذلك قال ربنا ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النحل:٤٤].

وفي الآية الأخرى قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة النحل:٨٩].

ولذلك قال المشركون لسلمان الفارسي رضي الله عنه كما في الصحيحين عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: قَالَ لَنَا الْمُشْرِكُونَ إِنِّي أَرَى صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ حَتَّى يُعَلِّمَكُمُ الْخِرَاءَةَ، فَقَالَ: أَجَلْ «إِنَّهُ نَهَانَا أَنْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِيَمِينِهِ، أَوْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، وَنَهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالْعِظَامِ» وَقَالَ: «لَا يَسْتَنْجِي أَحَدُكُمْ بِدُونِ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ» (١)

بيَّن سلمان الفارسي رضي الله عنه للمشركين أن ديننا وضح لنا جميع ما يتعلق بشؤون حياتنا ومصالح ديننا ودنيانا.

قال تعالى: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فينبغي للمسلم أن يعتز بدينه، وأن يعتصم بكتاب ربه وسنة نبيه ﷺ، وينبغي للمسلمين أن يظهروا عظمة الإسلام، وشموليته، وألا يكونوا عالةً على أعداء الدين في زبالة أفكارهم، ونخالة آرائهم التي إنما تزيد الناس قلقاً، وتزيدهم ضعفاً، وتزيدهم شقاءً وعناءً، وتزيدهم بعداً عن الهدى والسعادة قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٤-١٢٦].

---

(١) صحيح مسلم ١/٢٢٤ ح(٢٦٢)

وقال الله ﷻ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء:٦٥].

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هذه اللفظية الأولى أن الدين كامل

ثم قال تعالى: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ فهذه هي أجل نعمة على الإطلاق أنعم الله بها على الناس وهي نعمة الإسلام،

فمن هداه الله للإسلام ووفقه لهذا الدين عظيم فقد أنعم عليه أعظم نعمة إذ إن النعم الأخرى زائلة وأيضاً النعم الأخرى منقطعة لكن هذه النعمة هي سببٌ لدوام النعم، وهي باقيةٌ إلى أن يلقى الله ﷻ المسلم بهذا الدين العظيم وقد رضي الله ﷻ عنه، ويلقى الله ﷻ موحداً فينال بذلك شرف هذا الدين وفضله، وينال الدرجات العالية كما سيأتي معنا بعض البشارات للمسلمين، وبعض الفضائل العظيمة للمؤمنين.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ وهذه من أعظم فضائل الدين أن رب العالمين الذي خلق العالم كله علوية، وسفلية، أنه ﷻ رضي هذا الدين للمسلمين وللناس أجمعين لمن عمل به، (ورضيت لكم) هذا خطاب لأمة محمدٍ ﷺ الإسلام دينا.

والدِّين: هو ما يدين به العبد ويتقرب به ويسير عليه في حياته مأخوذٌ من الديدن فيقال ديدن الشخص أنه يعمل كذا وكذا فكل ما لازمه الإنسان واستمر عليه وسار عليه يسمى ديناً سواءً في مجال العبادة أو في مجال المعاملة هذا من حيث اللغة.

وأما من حيث الشرع فقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ أي تعبدون الله ﷻ بمقتضاه.

فهذه الآية العظيمة ينبغي للمسلمين، ولطلبة العلم أيضاً، وللخطباء، والدعاة، أن يعتنوا بإيصالها إلى قلوب المسلمين بل وإلى قلوب غير المسلمين لكي يعرفوا عظمة الدين.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس:١٠٤].

هذه الآية فيها خطاب لجميع الناس بينما الآية الأولى فيها خطاب للمسلمين والمؤمنين.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطاب للمشركين إن كنتم في شكٍ من ديني أي وهو لا يستحق أن يتشكك فيه إنسان لوضوحه وسطوعه ولعظمته، ولأن الذي شرعه هو الله الخالق وحده، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، والذي تمت كلماته صدقاً وعدلاً هذا الدين العظيم الذي يدعو إلى ما يتوافق مع الفطر ومع العقول السليمة، والقلوب المطمئنة.

هذا الدين العظيم الذي هو في غاية الوضوح لأنه يدعو إلى عبادة الرب الخالق وحده لا شريك له بينما الأديان الأخرى تدعو إلى عبادة غير الله من لا يملك نفعاً ولا ضرا.

ولهذا قال: ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً ولم يخلق بل هو عبدٌ ضعيفٌ فقيرٌ إلى الله ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ثم قال الله بعدها: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة يونس:١٠٥-١٠٧].

إلى آخر الآيات العظيمة التي من تدبرها علم عظمة هذا الدين وبطلان ما سواه من الأديان التي يتعلق أهلها بما لا يملك لهم نفعاً ولا ضرا، وهذه الآية الكريمة فيها فضل الإسلام وبيان عظمته من وجهين:

الوجه الأول: أن هذا الدين ليس فيه أي تشكك، وليس فيه تريب، ولا تردد، بينما الأديان الأخرى يكون أهلها في حيرة، وتناقض، و شكوك كثيرة، ولهذا إبراهيم إمام الحنفاء عليه السلام لما ناظر المشركين.. ولما كسَّر الأصنام وقال لهم: فاسألوهم إن كان ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم باللوم والحيرة والضعف فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

فهذا الدين من عظمته أنه دينٌ حقٌ لا شك فيه ولا ريب، ولا يتردد صاحبه؛ والذي عرف الإسلام معرفةً حقيقة يصير أبعد الناس عن الشبه، وعن الشكوك، والأوهام، ومن فضائله التي تستفاد من هذه الآية أن صاحب الدين الإسلامي العامل بالإسلام يكون في شجاعة عظيمة في مواجهة هذه الشبه، وهذه الشكوك الباطلة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾ [سورة الحديد:٢٨].

هذا خطابٌ للمؤمنين، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا سمعت يا أيها الذين ءامنوا فأرعي لها سمعك فإما أمر تؤمر به وإما نهي تنهى عنه» ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ هذان أمران من الله؛ أن نتقيه بأن نمتثل الأوامر، ونجتنب النواهي، وأن نؤمن برسوله، وحقيقة الإيمان بالرسول أن يُتبع نبينا ﷺ ظاهراً وباطنا، وأن يُقتدى به في عبادته، وفي معاملته ابتغاء مرضاة الله ﷻ؛ فالثمرة من ذلك قال: ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ قال جمهور المفسرين إن هذه الآية خطابٌ لأهل الكتاب باعتبار أن الآيات السابقة تتعلق بأهل الكتاب، وكذلك الآية التي تليها، قالوا ولأن ربنا ﷻ قد بين في سورة القصص أن أهل الكتاب الذين أدركوا دين نبيهم ثم أدركوا نبينا محمد ﷺ فآمنوا به أن لهم أجرين كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ فبين الله ﷻ أن أهل الكتاب الذين أدركوا النبي عليه الصلاة والسلام يؤتون أجر إيمانهم واتباعهم لنبيهم وكذلك إدراكهم لنبينا، وإيمانهم به، واتباعهم له.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ [سورة القصص:٥٤].

وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه وفيه "ثلاثةٌ يؤتون أجرهم مرتين يوم القيامة وذكر منهم رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم أدرك النبي عليه الصلاة والسلام فآمن به واتبعه" ، بمعنى قوله تعالى: ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ الكفل بمعنى النصيب الله يعطيهم نصيبين وحظين من الأجر، وقد ذهب بعض المحققين من أهل العلم والتفسير أن هذه الآية شاملة لجميع المؤمنين من أهل الكتاب والمسلمين لأن الله قال يا أيها الذين امنوا ولم يقل يا أهل

الكتاب ولأن الآية التي تليها فيها عودةٌ إلى ذكر أهل الكتاب ولفتة بما يُفهم أن هذه الآية تخص المؤمنين من هذه الأمة المحمدية وعلى كل حال فإذا آمن الرجل من أهل الكتاب بنبينا ﷺ فواضح أنه يؤتى أجره مرتين، وكذلك المسلم من أمة محمدٍ ﷺ إذا آمن بنبيه واتبعه فهو يؤتى أجره مرتين كما وضحت هذه الآية الكريمة ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي نصيبين وحظين من الأجر، وهذا مما يشمل أيضاً رحمة ربنا ﷻ للمسلم في دينه، وفي دنياه، في دنياه وفي أخراه.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ نوراً وهو نور الإيمان ينير الله بصيرتهم فيبصرون بها الحق، ويبصرون بها درب النجاة، ويستضيئون بها أسباب السعادة في هذه الحياة قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [سورة الشورى:٥٢].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [سورة المائدة:١٥-١٦].

أي السلامة فهذا الدين العظيم نور الله في أرضه، من أخذ به أنار الله به حياته وخرج به من ظلمات الجهل والشرك والشقاء إلى نور الإيمان والهدى قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥٧].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الكِتَابَيْنِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ اليَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاَةِ العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ

قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ العَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ «، فَغَضِبَتِ اليَهُودُ، وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا، وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: «هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟« قَالُوا: لاَ، قَالَ: «فَذَلِكَ، فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ« (١)

قوله في الصحيح أي في صحيح الإمام البخاري، وهذه الكلمة (الصحيح) تطلق في كلام أهل العلم يراد بها ثلاث أشياء:

إمّا في الصحيح أي في الصحيحين كليهما

وإمّا في الصحيح في أحدهما

وإمّا الإطلاق الثالث في الصحيح ويراد الحديث الصحيح الذي يقابل الحديث الضعيف.

وهذا المثل في هذا الحديث الذي أخبر به النبي ﷺ ومثل به هذه الأمة مع من سبقها من الأمم فيه بيان فضل هذه الأمة، وفضل ما بعث به نبيها ﷺ من العمل المضاعف، ومن الدين الذي يثاب أهله ثواباً جزيلا، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

فقال عليه الصلاة والسلام : "مثلكم مثل أهل الكتابين كمثل رجلٍ استأجر أجراء" أجراء يعني عملاً.

فقال:" من يعمل لي من غدوة" والمقصود بغدوة هنا بالضم ما بين صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، وأما غَدوة الغَدوة والروحة الغدوة يعني تطلق ويراد بها أول النهار والروحة آخر النهار وهذا أفاده ابن الأثير رحمه الله تعالى في النهاية

قال من غدوة إلى نصف النهار على قيراط "القيراط وضح ابن الأثير وغيره كالجوهري أن القيراط نصف سدس درهم.

قال: فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط فعملت النصارى

ثم قال من يعمل من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين فأنتم هم فغضبت اليهود والنصارى وفي رواية فغضب أهل التوراة وهم اليهود فقط لأنهم أكثر عملاً من الصباح

---

(١) صحيح البخاري ٣/٩٠ ح(٢٢٦٨)

إلى الظهر، قالوا ما لنا أكثر عملاً وأقل أجرا فقال هل نقصتكم من حقكم شيئا؟ قالوا لا قال فذلك فضلي أوتيه من أشاء.

فمن هنا نعلم قاعدة شرعية نأخذها من هذا الحديث وغيره أن الشريعة الإسلامية جاءت بالعدل وأن التسوية في الفضل ليست واجبة وإنما الواجب التسوية في العدل فأنت استأجرت أو استعملت عمالاً مثلاً عادة الناس وعُرْفهم أنهم يعطون العامل في اليوم خمسة آلاف ريالاً فرأيت أحدهم عنده من الصفات والأسلوب ومن الأمانة ما ليس عند غيره فزدته على ما يستحقه الكل فهذا ليس بظلم بل هي منحة ومزية لهذا الرجل الذي عنده من الصفات ما ليس عند غيره.

ففي هذا الحديث فضيلة عظيمة لهذا الدين أن الله ﷻ جعل العمل فيه مضاعفا أولاً كما سمعنا أن الله كمَّله واختصه بالشرائع العظيمة كما سيأتي أنها شريعةٌ سمحة، واختار له أفضل الكتب وأفضل الرسل...

ثانياً أن الأجر فيه مضاعف وقد جاء عن بعض العلماء من السلف أنه لما كانت أعمار أمة محمدٍ ﷺ قصيرة فإن الله ﷻ عوضها في العمل فصار العمل مضاعفاً، وأكرمها الله ﷻ بليلة القدر، وبأيامٍ فاضلة يدرك بها الأنسان أعمارا كثيرة فهذا من فضل الله ﷻ، نسأل الله من فضله ورحمته.

قوله: "وفيه أيضا" أي في الصحيح والمراد هنا صحيح الإمام مسلم عن حذيفة بهذا السياق، وهو في الصحيحين عن أبي هريرة.

نص حديث حُذَيْفَةَ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ، وَالسَّبْتَ، وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ». (١)

(١) صحيح مسلم ٢/٥٨٦ ح(٨٥٦)

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللَّهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ اليَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ» (١)

هذا الحديث العظيم فيه قول النبي ﷺ "أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا" ليس المراد بهذه اللفظة النبوية أن أهل الكتاب فُرض عليهم هذا اليوم وتركوه ولم يعملوا به كما نبه على ذلك بعض العلماء كابن بطال رحمه الله في شرح البخاري نقله عنه الحافظ ابن حجر حيث قال: ليس المراد أن يوم الجمعة فرض عليهم بعينه فتركوه، لأنه لا يجوز لأحد أن يترك ما فرض الله عليه وهو مؤمن، وإنما يدل –والله أعلم– أنه فرض عليهم يوم من أيام الأسبوع وَكِّلَ إلى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم، فاختلفوا في أي الأيام هو ولم يهتدوا إلى يوم الجمعة.

فاختار اليهود السبت قالوا بزعمهم أن الله ﷻ فرغ من الخلق فيه وبعضهم قالوا تعب الله ﷻ من الخلق تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا، والنصارى اختاروا الأحد قالوا إن الله ابتدأ الخلق فيه، واختار المسلمون يوم الجمعة لأنه أفضل الأيام، ولأن الله ﷻ أتم خلق آدم فيه فهذا من فضل الله ﷻ أن هدانا لهذا اليوم واختاره لنا، وشرعه لنا، ولم يكِلْ الاختيار إلينا بل وفقنا وهدانا وهو ﷻ أعلم بما هو أنفع لنا سبحانه وبحمده

فقوله نحن الآخرون أي في الزمن نحن آخر الأمم والأولون يوم القيامة، جاء في رواية أخرى المقضي لهم قبل الخلائق هذه فضيلة لهذا الدين عظيم ولأهله ولنبيه صلى الله عليه وسلم.

اسأل الله ﷻ باسمه الأعظم الذي إذا دعي أجاب واذا سئل أعطى أن يثبتنا على دينه حتى نلقاه نسأل الله أن يشرح صدورنا للإسلام وأن ينير قلوبنا بالإيمان نسأل الله ﷻ أن يوفقنا إلى كل خير وأن يدفع عنا وعن المسلمين كل شرٍ وضير نسأل الله ﷻ أن يهدي الناس أجمعين لهذا الدين العظيم وأن يوفق المسلمين لنشر هذا الدين ليكونوا من الدعاة إليه ومِن مَن قام بحقه حق القيام، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيه وعلى اله وصحبه أجمعين.

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢ ح(٨٧٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الثاني

الحمد لله وكفى وسلامٌ على عباده الذين اصطفى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه واقتفى أما بعد:

فهذا هو الدرس الثاني من دروس شرح كتاب فضل الإسلام للإمام العلامة محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ علينا وعليه: وَفِيهِ تَعْلِيقاً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنّه قال: «أَحَبُّ الإِيمَانُ إِلَى اللهِ: الْحَنِيفِيَةُ السَّمْحَةُ».

قوله: وَفِيهِ أي في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في كتاب الإيمان تحت باب (الدين يسر).

وقوله: تَعْلِيقاً التعليق: هو أن يحذف من أول إسناد راوٍ فأكثر على التوالي، والأحاديث المعلقة في صحيح البخاري ليست على شرط الإمام البخاري يعني ليست في الصحة بدرجة الأحاديث التي أسندها في صحيحه فليست داخلةً في شرطه، ولكن قال أهل العلم: ما جاء منها بصيغة الجزم فيكون صحيحا ، كما هنا في هذا الأثر قال النّبي ﷺ «أَحَبُّ الإِيمَانِ إِلَى اللهِ: الْحَنِيفِيَةُ السَّمْحَةُ»، وهذا الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النّبي ﷺ فِي سَرِيَّةٍ مِنْ سَرَايَاهُ، فَمَرَّ رَجُلٌ بِغَارٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، فَجَدَبَتْهُ نَفْسُهُ أَنْ يُقِيمَ فِي ذَلِكَ الْغَارِ، فَيَقُوتَ مَا فِيهِ مِنْ مَاءٍ، وَيُصِيبُ مِمَّا حَوْلَهُ مِنَ الْبَقْلِ، وَيَتَخَلَّى مِنَ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ: لَوْ أَنِّي أَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَإِنْ أَذِنَ لِي فَعَلْتُ، وَإِلَّا لَمْ أَفْعَلْ. فَأَتَاهُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي مَرَرْتُ بِغَارٍ فِيهِ مَا يَقُوتُنِي مِنَ الْمَاءِ وَالْبَقْلِ، فَحَدَّثَتْنِي نَفْسِي بِأَنْ أُقِيمَ، وَأَتَخَلَّى مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ النّبي ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَلَا النَّصْرَانِيَّةِ، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، وَالَّذِي نَفْسِي

بِيَدِهِ، لَغَدَاةٌ أَوْ رَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَمَقَامُ أَحَدِكُمْ فِي الصَّفِّ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِهِ سِتِّينَ سَنَةً» (١)

قد رواه الإمام أحمد عن أبي أمامة ﷺ عنه بلفظ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَلَا النَّصْرَانِيَّةِ، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ» وهو في الصحيحة (برقم: ٢٩٢٤)، وجاء بلفظ «أَحَبُ الأَدْيَانِ إِلَى اللهِ تَعَالَى: الْحَنِيفِيَةُ السَّمْحَةُ» أخرجه الإمام أحمد وغيره عن ابن عباس وهو في صحيح الجامع (برقم: ١٦٠)، وجاء بلفظ «أَفْضَلُ الإِسْلَامِ الْحَنِيفِيَةُ السَّمْحَةِ» رواه الطيالسي عن ابن عباسٍ وهو في صحيح الجامع أيضا (برقم: ١٠٩٠)

ومعنى هذا الحديث «أَحَبُ الأَدْيَانِ إِلَى اللهِ تَعَالَى: الْحَنِيفِيَةُ السَّمْحَةُ» وهو ما بعث به محمدٌ ﷺ وهذا تفضيلٌ بين الأديان التي جاءت من عند الله أن أفضلها وأكملها ما كان حنيفياً سمحا، ويحتمل معنى آخر الحديث وهو «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللهِ» أي أحب ما يتدين به العبد إلى الله أو لله مكان فيه اليسر ولذلك ثبت عن النبي ﷺ ما خير بين شيئين إلا اختار أيسرهما والله ﷻ يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [سورة الحج:٧٨]. والله ﷻ وصف نبيه ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [سورة التوبة:١٢٨].

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [سورة التوبة:١٢٨]. بمعنى شديدٌ وشاقٌ عليه أن يلحقكم العنت ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة:١٢٨].

والحنيفية: هي ملة إبراهيم، عبادة الله وحده لا شريك له.

والحنيف: هو المقبل على الله المعرض عما سواه، وهذا كما أفاده شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في جلاء الأفهام –رحمهما الله– وأكثر العلماء يفسرون الحنيف بأنه: المائل ولكن الميل في حد ذاته جزء من الحنيفية.

وهي: حقيقة التوحيد، الإعراض عما سوى الله والكفر بما دون الله ﷻ والإقبال على الله وحده لا شريك له.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٢١٦/٨ ح(٧٨٦٨)

وقوله: السَّمْحَةُ أي السهلة اليسيرة، فجمع الله لنا في هذه الشريعة العظيمة شريعة الإسلام بين كونها حنيفية وبين كونها سمحة فهي حنيفية في التوحيد سمحةٌ في العمل، وهذا مضمون كلام ابن القيم (١) وهذا من أعظم فضائل هذا الدين العظيم، الذين من قبلنا كبني إسرائيل شددوا فشدد الله ﷻ عليهم وقد جاء في بعض الآثار أن في شريعة موسى عليه السلام: أن من يعتدى على الآخر ليس له عفو وإنّما القصاص، وفي شريعة عيسى: أن من لطمك في خدك الأيمن فأدر له الخد الأيسر.

وهذه الشريعة العظيمة جاءت بالعدل والفضل، بخلاف تلك الشرائع بعضها فيها العدل، وبعضها فيها الفضل، وهذه فيها الأمران، وهذا من فضل الله ﷻ أن كمل لنا هذا الدين العظيم الذي نسأل الله سبحانه أن يعيننا على العمل به وأن يثبتنا عليه حتى نلقاه.

وهذا الحديث لا يستدل به على تتبع الرخص، والتساهل بأحكام الشرع بحجة التيسير، فهنالك في هذا الزمان دعاة إلى التيسير والتسهيل للناس بحجة أن المسألة فيها خلاف، أو أن هذا الدين فيه الرخص أو أن هذا الدين سمحٌ وسهل، فينظرون من الأقوال ما يتوافق مع أهوائهم ويتتبعون الفتاوى السهلة من أجل أن يصلوا إلى مرادهم،

بل يجب على المسلم أن يتقي الله ﷻ وأن يأخذ دينه بقوة، يأخذ دينه بحقٍ، ويأخذ دينه بتحرٍ، ليس معنى هذا أنّه يختار يعني أيسر القول أو أشد القول ولكن يتحرى الصواب، ويتحرى الحق، فإن كان عامياً يسأل من يثق بعلمه من العلماء الربانيين الراسخين، وقد قال سفيان الثوري رحمه الله: "إنما العلم عندنا الرخص عن الثقة، فأما التشديد فكل إنسان يحسنه.. فليس الفقه بالتشدد، ولكن الفقه أن تأتيك الرخصة من عالم، فالفقيه ليس هو الذي يقول: هذا حرام وهذا حرام ويضيّق على الناس، ولكن الفقيه هو الذي يجد للناس مخرجاً بحيث لا يخالف الشرع، ولعظم إدراك العلماء الكبار والراسخين في العلم ينظرون إلى مقاصد الشريعة، وينظرون في المصالح والمفاسد، وفي الأدلة الشرعية ويجمعون بينها فيكون عند العالم الراسخ من الاطلاع ومن القواعد الشرعية ما يجعله يجد للناس مخرجا في بعض الأمور هذا من الفقه، لكن لا ينبغي

(١) إغاثة اللهفان (١/١٥٨)

للإنسان أن يختار الأقوال المرجوحة وكذلك الأخطاء التي يخطئ بها بعض العلماء ويزلون بها فيتخذها ذريعةً وحجةً لأن يعمل بها أو أن ينشرها أو يفتي الناس بها.

فهذه إشارة وتنبيه حول هذا الحديث العظيم فدين الله ﷻ هو اليسر ليس كلام فلان وعلان، وليس منهج فلان وعلان، دين الله ﷻ من عمل به فإنّه يجد البركة، ويجد الخير، ويجد السماحة والسهولة، فلو جئت تنظر مثلاً في مسألة الطهارة كم هنالك من رخص وكم فيها من تسهيل وتيسير أن الشخص إن استطاع أن يتوضأ وإلا تيمم، وإن فقد الماء وفقد أو عجز عن استخدام الماء والتيمم فإنه يصلي على حالته ويتقي الله ﷻ ما استطاع، وهكذا في الصلاة فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ، قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النّبي ﷺ عَنِ الصَّلاَةِ، فَقَالَ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ» (١)

وهكذا في السفر رخص الله ﷻ في الصلاة الرباعية أن تكون ركعتين، وأباح للناس الفطر في السفر، وهكذا في كل المسائل والمجالات الشرعية يلاحظ الإنسان أن دين ربنا ﷻ فيه الرحمة، وفيه الحكمة، وفيه الخير للناس أجمعين.

وعَنْ أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَتَمَسُّهُ النَّارُ أَبَدًا، وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ وَاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا كَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَبِسَ وَرَقُهَا فَهِيَ كَذَلِكَ إِذَا أَصَابَهَا رِيحٌ فَتَحَاتَّ عَنْهَا وَرَقُهَا إِلَّا تَحَاتَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتَّ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا، وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ، فَانْظُرُوا أَعْمَالَكُمْ، إِنْ كَانَ اقْتِصَادًا وَاجْتِهَادًا فَلْتَكُنْ عَلَى مِنْهَاجِ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ. (٢)

هذا الأثر صح عن أبي بن كعب ﷺ عند أبي نعيم في الحلية، وكذلك ابن المبارك في الزهد، والإمام أحمد أيضاً في الزهد، وابن أبي شيبة،

وأبي بن كعب ﷺ الخزرجي الأنصاري صحابيٌ جليل وله فضائل منها ما ثبت في الصحيحين أَنَّ الله ﷻ أَمَرَ نَبِيَهُ عليه الصلاة والسلام أَن يَقْرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ عندما

(١) صحيح البخاري ٢/٤٨ ح(١١١٧)

(٢) الزهد لأبي داود ١/١٨٣ ح(١٨٩)

قال: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أن نَقْرَأَ عَلَيْك ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة البينة:١]. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ نَعَمْ، فَبَكَى»،(١)

وهذا الأثر فيه فضائل الإسلام من عدة جهات:

الجهة الأولى: أن الله ﷻ لا يقبل أي عمل إلا بالإسلام؛ لأن هنا يقول: عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ ومن باب الفائدة، قال بشر بن الحارث رحمه الله : الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، فالسنة النبوية هي المثل التطبيقي للإسلام والإسلام الحق الذي يريده الله ﷻ هو ما طبقه رسوله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–فالسبيل هنا سبيل الله، والسنة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَتَمَسُّهُ النَّارُ، وهذه من فضائل الإسلام أن العبد إذا خاف من الله وعمل بشرع الله فإنّ الله يحرم وجهه على النار، ويحرم بدنه على النار، وعبر بالعينين من التعبير بالجزء والمراد الكل، كما قرره شراح الحديث.

وأيضاً في هذا الأثر من فضائل الإسلام أنه يدعو أهله إلى تصحيح المسار وتهذيب السلوك فيما بين العبد وبين الله ﷻ ولهذا قال في آخره وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ، اقتصاد أي على الواجب وترك المحرم مع قلة المسارعة أو قلة النوافل أفضل من كثرة النوافل بغير سنة واتباع، وبغير تمسك بما جاء في هذا الشرع العظيم، فالبدع لو عمل الإنسان ليلة ونهاره، وسره وجهاره فإنّها لا تقبل كما جاء في الصحيحين: عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»(٢)

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٠)، ومسلم (٧٩٩)، قال النووي رحمه الله:أما بكاؤه فبكاء سرور واستصغار لنفسه عن تأهيله لهذه النعمة وإعطائه هذه المنزلة والنعمة فيها من وجهين أحدهما كونه منصوصا عليه بعينه ولهذا قال وسماني معناه نص علي بعيني أو قال اقرأ على واحد من أصحابك قال بل سماك فتزايدت النعمة والثاني قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فإنها منقبة عظيمة له لم يشاركه فيها أحد من الناس وقيل إنما بكى خوفا من تقصيره في شكر هذه النعمة

(٢) صحيح البخاري ٣/١٨٤ ح(٢٦٩٧)

وفي الرواية الأخرى: عَنْ عَائِشَةُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» (١)

وقوله: فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ..... يدل عليه عدة أحاديث ومنها قوله ﷺ «عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ أَبَدًا: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّه، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّه» هذا الحديث رواه عبد الرزاق وغيره والضياء المقدسي عن أنس وقد صححه العلامة الألباني كما في المشكاة.

وهذا فيه فضائل البكاء من خشية الله ﷻ.

ومن أسباب ذلك تدبر القرآن واستحضار عظمة الله ﷻ، والتفكر والمحاسبة للنفس المقصرة المذنبة المسيئة،

هذا الحديث رواه عبد الرزاق وغيره والضياء المقدسي عن أنس وقد صححه العلامة الألباني كما في المشكاة.

وقوله إِلَّا تَحَاتَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ دلت عليه أحاديث كثيرة منها حديث أبي هريرة أو أنس بن مالك ﷺ الحديث القدسي الذي فيه قال الله تعالى عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » (٢). وبمعناه حديث أبي ذرٍ عند الإمام مسلم رحمه الله.

قوله: وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ يدل عليه قوله ﷻ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك:٢]. فجعل الله ﷻ حكمة من خلقنا الابتلاء بإتقان العمل وإحسانه،

---

(١) صحيح مسلم ١٣٤٣/٣ ح(١٧١٨)

(٢) سنن الترمذي ت شاكر ٥٤٨/٥ ح(٣٥٤٠).

فلا تنظر يا عبد الله إلى الكم، كم صام فلان، كم صلى، كم قرأ، ولكن انظر إلى الكيف ولذلك قال عبد الله بن عمر: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لم يكن غائب أحب إلى من الموت ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة المائدة:٢٧].

وقال الله ﷻ ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [سورة الحج:٣٧]. وحديث عبد الله بن عمرو «إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شَرَّةٌ وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى» رواه الإمام أحمد بن حبان وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (برقم: ٥٥).

يعني إذا ملّ الإنسان من كثرة الأعمال فتمسك بهدي النّبي ﷺ فقد اهتدى، وإن قصر في كثيرٍ من النوافل ما دام أنّه على سنة فهو إلى خير وعلى نجاة، ومن كانت فترته إلى غير ذلك يعني إلى البدع والأهواء فقد هلك.

ففي هذا الأثر الحث على التمسك بالسنة وكما سمعنا السنّة هي الإسلام، وفيه فضل من تمسك بها وذم البدع، والاجتهاد فيها،

ومن الخطأ ما عليه بعض الناس من الاغترار بأهل البدع لأجل اجتهادهم، وبكائهم، وتزهدهم، وتعبدهم، وكثرة تسبيحهم ومن أذكارهم التي بعضها تكون غير مشروعة، على سبيل المثال: قراءة على الموتى سورة يس، سورة كذا القراءة عند المقابر والذكر الجماعي ونحو ذلك من أنواع البدع فهذه لا يغتر بها الإنسان فإنّها ما دامت على غير سنة فإنها مردودة على أصحابها، وهذا الأثر عظيم جداً في فضائل الإسلام الصحيح.

وَعَن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: يا حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُم كَيْفَ يَغْبُنُونَ سَهَرَ الْحَمْقَى وصَوْمَهُمْ، مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ بِرٍ مَعَ تَقْوَى وَيَقِين أَعْظَمُ وَأَفْضَلُ وَأَرْجَحُ مِنْ عِبَادَةِ الْمُغْتَرِّينَ.

أبو الدرداء صحابيٌ جليل واسمه عويمر بن عامر، مشهور بكنيته، ولي القضاء في خلافة عثمان ﷺ وهذا الصحابي الجليل أبو ذرٍ ﷺ مشهورٌ بالحكمة، ومشهورٌ بالتفكر والتدبر حتّى إن زوجته أمّ الدرداء تخبر عنه أن أكثر عبادته التفكر، وقد ذكر عنه أنه قال: تفكّر ساعةٍ خيرٌ من قيام ليلة (١)؛ فالشخص إذا تفكر وتدبر فإن ذلك يكون عوناً له على تصحيح مساره

(١) الزهد لأحمد بن حنبل – دار ابن رجب (١/ ٢٦٢).

وعلى رجوعه وتمسكه بشرع الله ﷻ وتوبته وإنابته بخلاف القيام لليلة هذه قد يتبعها نوعٌ من الغرور، وقد يتبعها عملٌ يمحوها من العجب، والرياء أو السمعة ونحو ذلك.

فهنا أبو الدرداء ﷺ يقول: يا حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُم، الأكياس: هم الفطناء، الكيس: الفطن، يقول: يا حبذا نومهم يعني يفضل نوم الأكياس الموفقين المخلصين، وإفطارهم، مع أن غيرهم صائمٌ قائم.

قال: كَيْفَ يَغْبُنُونَ الغبن هنا هو الخسران والنقصان، كَيْفَ يَغْبُنُونَ سَهَرَ الْحَمْقَى وصَوْمَهُمْ، الأحمق: الذي يهتم بكثرة العمل سهر في طاعة وعبادة لكن بدون سنة، وكثرة صيام ولكن بدون إخلاص وبدون اتباع للنبي–صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–فهذا الأثر فيه بيان لعظمة الإسلام، وأن هذا الدين يدعو إلى إتقان العمل مع قلته، ويفضل ذلك على كثرة العمل بدون إتقانه، قال ابن القيم ﷺ تعالى في نونيته:

والله لا يرضى بكثرة فعلنا ... لكن بأحسنه مع الإيمان

فالعارفون مرادهم إحسانه ... والجاهلون عموا عن الإحسان

فعلينا أن نهتم بإتقان الأعمال وقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة ﷺ أن النّبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَن يُتْقِنَهُ» رواه أبو يعلى وغيره وصححه الألباني.

فهذا الأثر العظيم –أثر أبي الدرداء – وإن كان بعض العلماء يضعفه لكن نحن سنمشي في هذه الرسالة وفي غيرها على أننا نحرص على شرح كلامِ المؤلف، ونعلم أنّ المؤلف لم يأتي بهذه الأثار إلا وهو يرى أنّه يستأنس بها وأنها حكمة، وقد ذكر بعض العلماء أنّه لا يشترط تصحيح هذه الأثار كما ذكر الإمام الخطيب البغدادي رحمة الله تعالى علينا وعليه قوله : "وأمّا أخبار الصالحين وحكايات الزهاد والمتعبدين ومواعظ البلغاء وحكم الأدباء فالأسانيد زينةٌ لها وليست شرطاً في تأديتها، ثم روى عن يوسف بن الحسن الرازي قال: إسناد الحكمة وجودها، وعن ابن المبارك قال: لا بأس لا بأس وإن وجدت على الحائط موعظة فانظر فيها تتعظ".(١)

هذا ما نختم به درسنا ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا إلى كل خير والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع "٢/ ٣١٦ – ٣١٩" ط. الرسالة. فصل ما لا يفتقر كتبه إلى الإسناد"

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس الثالث

الحمد لله معز المؤمنين ومذل الكافرين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وقدوة العاملين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد:

فهذا هو الدرس الثالث من دروس شرح فضل الإسلام.

يقول المصنف رحمة الله علينا وعليه: بابُ وُجُوبِ الإِسْلَامِ هذا الباب عقده الإمام المصنف بعد الباب الأول الذي فيه: فَضْلُ الإِسْلَامِ؛ لأنّه إذا كان القارئ قد عرف فضل الإسلام وأحبه؛ فإنّه يسهل عليه، بل ويشتاق إلى الدخول في هذا الدين الكامل الشامل، هذا الدين الناسخ للأديان السابقة، هذا الدين العظيم الذي فيه الفضائل، والذي فيه مضاعفة الأجور والحسنات.

وقوله: بابُ وُجُوبِ الإِسْلَامِ أَو الدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ هنا المراد بالإسلام ما بعث به سيد الأنام محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام؛ لأنّ الإسلام كما مر معنا على قسمين: إسلام بالمفهوم العام فكل الأنبياء بعثوا بالإسلام، وإسلام إذا أطلق في الشرع فالمراد به الإسلام الخاص وهو الذي بعث به محمدٌ-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-

وقول الله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران:٨٥]. معنى الآية واضح أي من يطلب دينا غير دين الإسلام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والعبودية ولرسوله النّبي الخاتم محمدٍ ﷺ بالإيمان به ومتابعته ومحبته ظاهراً وباطنا فلن يقبل منه ذلك ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ الذين بخسوا أنفسهم حظوظها انتهى من التفسير الميسر.

وفي هذه الآية بطلان كل الأديان، والمناهج والطرق من يهودية ونصرانية ومجوسية، وغير ذلك من الأديان الباطلة؛ لأن الله جل وعلا صرح أنّه لن يقبل أي دين سوى دين الإسلام، وهكذا البدع كلها بطرقها المختلفة مردودة لا تقبل عند الله ﷻ.

فهذه الآية أصل من أصول الدين العظيمة، وكل ما يتقرب به العبد إلى الله وليس من شرع الله فلن يقبل منه، فكل ما شرعه الله في كتابه أو رسوله ﷺ في سنته وسار عليه الصحابة الكرام والسلف الصالح فهذا هو الإسلام الذي أمر الله جل وعلا به ويقبله من أهله، وأي طريقة ومنهج وسلوك وصفة وهيئة من العبادات التي يتقرب بها الإنسان إلى الله وهي مخالفة وليست موجودة في كتاب الله ولا في سنّة رسوله فإنّها ليست من الإسلام.

وهذه الآية عظيمة جدا لمن تدبرها وتأملها فإنّه يعتصم بها من ضلالات وطرق مختلفة مردية، فهذا من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

قوله تعالى ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ لأنّه إذا لم يقبل منه هذا العمل، وهذا الدين، وهذه الهيئة التي تقرب بها إلى الله فإنّه يأتي يوم القيامة ليس له عمل مقبول فيكون خاسرا، وهذا خسران كلي في حق الكافرين، وخسران جزئي في حق المسلم الذي يتقرب إلى الله ببعض البدع وببعض الطرق التي تخالف دين الله جل وعلا فيكون خسرا خسرانا جزئيا.

وقوله جل وعلا ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [سورة آل عمران:١٩]. هذه الصيغة تدل على الحصر أي أن الدين الذي يقبله الله جل وعلا ويرضاه هو دين الإسلام ليس غيره ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ أي ليس هناك دين يقبل عند الله إلا الإسلام، فهذا هو الدين الذي ارتضاه الله جل وعلا لخلقه، وأرسل به رسله وهو الاستسلام لله جل وعلا كما جاء بذلك رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]. الإشارة بقوله ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي﴾ إلى هذا الدين العظيم الذي عايشه الصحابة والذي أخذوه من نبي الله ﷺ

وقوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ قد فسر الصراط بعدة تفاسير: فمن العلماء من يقول ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ أن الصراط هو القرآن، ومنهم من يقول أن الصراط هو النّبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم–، ومنهم من يقول غير ذلك.

وإليكم بعض الأحاديث المحمدية في معنى هذه الآية فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ خَطًّا، وقال: «هذا سبيلُ اللهِ»، ثم خَطَّ خطوطًا عن يمينِه وعن يَسَارِهِ، وقال: «هذه سُبُلٌ، على كلِّ سبيلٍ شيطانٌ يَدْعُو إليه» ثُمَّ قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]. الحديث رواه أحمد، والدارمي، صححه الألباني رحمه الله تعالى

إذاً هذا الحديث فيه بيان من رسول الله ﷺ أن سبيل الله جل وعلا واضحٌ ومستقيم، وأن السبل الأخرى على كل سبيل شيطان يدعو إليها، وهذه السبل الأخرى من سبل الأهواء والأديان الباطلة والطرق المنحرفة.

وجاء حديث عن ابن مسعود أيضا أن رسول الله ﷺ قال: «ضربَ اللَّهُ مثلًا صراطًا مُستقيمًا، وعن جَنبتَيِ الصِّراطِ سورانِ، فيهِما أبوابٌ مُفتَّحةٌ، وعلَى الأبوابِ ستورٌ مُرخاةٌ، وعندَ رأسِ الصِّراطِ داعٍ يَقولُ: استَقيموا علَى الصِّراطِ ولا تَعوَجُّوا، وفَوقَ ذلِكَ داعٍ يدعو، كلَّما همَّ عبدٌ أن يفتحَ شيئًا مِن تلكَ الأبوابِ قالَ: وَيحَكَ! لا تَفتَحهُ، فإنَّكَ إن تفتَحهُ تَلِجْهُ؛ ثمَّ فسَّرَهُ، فأخبرَ: أنَّ الصِّراطَ هوَ الإسلامُ، وأنَّ الأبوابَ المُفتَّحةَ محارِمُ اللَّهِ، وأنَّ السُّتورَ المُرخاةَ حدودُ اللَّهِ، وأنَّ الدَّاعيَ علَى رأسِ الصِّراطِ هوَ القرآنُ، وأنَّ الدَّاعيَ مِن فَوقِهِ واعِظُ اللَّهِ في قَلبِ كلِّ مؤمنٍ»

إذا صراط الله تعالى هو ما شرعه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ وكذلك سار عليه صحابته الكرام، فقد قال جل وعلا ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [سورة البقرة:١٣٧].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ".(١)

قال مجاهدٌ في قوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ قال السُّبُلُ: الْبِدَعُ وَالشُّبُهَاتُ وهذا إسناد صحيح، مجاهد بن جبر المفسر الكبير الذي قيل فيه: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك أي يكفيك، فمجاهد عرض القرآن على عبد الله بن عباس مرتين وهو يستوقفه عند كل آية.

قول مجاهد رحمه الله، فيه أن البدع والشهوات تخرج العبد عن الصراط المستقيم، ويدل على ذلك حديث العرباض بن سارية حينما قال الرسول ﷺ «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسنّة الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» فالمصنف رحمه الله تعالى أراد أن يبين الإسلام الذي أوجبه الله جل وعلا على العباد والذي يجب علينا الدخول فيه هو الإسلام الذي كان عليه المصطفى ﷺ، والذي جاء به، والذي دعا إليه، والذي قاتل من أجله، وهو المثل في تطبيقه ﷺ لِمَا أوحى الله إليه.

فكل ما طبقه الرسول ﷺ وعمل به وسار عليه هو الإسلام، فهذا الدليل من أعظم الأدلة التي توجب على العباد أن يستقيموا على دين الله جل وعلا كما أراده الله ﷻ.

---

(١) رواه ابن ماجه 3993 وصححه الألباني.

والمصنف رحمه الله تعالى يريد من خلال هذا الباب أن يبين أن الإسلام هو السنّة، وأن السنّة هي الإسلام؛ لأن السنّة هي المثل التطبيقي للإسلام ولذلك يقول هنا وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ». وفي لفظٍ «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» هذا الحديث أصلٌ عظيم من أصول هذا الدين، فقد جعله بعض العلماء نصف الدين، لماذا؟ قالوا لأنه يصحح الأعمال الظاهرة، كما أن حديث «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ» نصف آخر يصحح الأعمال القلبية، هذا الحديث يعتبر أصلاً في الرد على كل البدع، وعلى كل الطوائف وعلى أهلها وهو بمعنى قوله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ لأنه يقول «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» نفس المعنى، ولهذا الإمام المفسر الكبير أبو الفداء إسماعيل بن كثير رحمه الله فسر الآية الكريمة بهذا الحديث العظيم «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» أي مردودٌ على صاحبه وفي لفظ «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» أي مردود عليه وهو آثم إذا تعمد الابتداع ومخالفة هدي رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–

قال: وَلِلبُخَارِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى» فوجوب الإسلام لا يتحقق ولا يعني يتم إلا بطاعة النّبي ﷺ، وهذا هو المراد من هذا الحديث أنّه يبين أن الإسلام الذي أمر الله به هو ما جاء به المصطفى ﷺ فطاعة رسول الله من طاعة الله قال الله تعالى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [سورة النساء:٨٠]. فالإسلام له معلمٌ وله قدوةٌ، وله توضيحٌ بعث الله ﷻ من أجله النّبي الأكرم–صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–فبيان رسول الله ﷺ هو الحكمة من بعثته، وإلا لو كان الدين إلى أهواء الناس، وإلى مزاج الناس لكان كل واحدٍ يعبد ربه حسب هواه، لكن لماذا بعث الله المصطفى –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم– وجاهد في الله حق جهاده وأوذي وعودي وشرد وجرح وشج

رأسه وكسرت رباعيته؟ إلى آخره، كل ذلك من أجل أن يبين الإسلام وأن يوضحه وأن يدعو إليه وأن يبينه للناس، هذا كله يرسخ في قلبك أيها المسلم أن تعلم أن الإسلام هو السنّة، وأنّ السنّة هي الإسلام

وقوله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ» المقصود هنا أمّة الإجابة، التي استجابت لله ﷻ كلّها تدخل الجنة، وقيل المقصود هنا الأمّة كلّها أمة الدعوة التي بعث إليها الرسول وهم العالمون الذين في عصره ومن بعده، فكلهم يدخلون الجنة إلّا من أبى وأعرض عن طاعة الرسول صل عليه وعلى آله وسلم.

وقد ذكرت طاعة رسول الله ﷺ في القرآن في أكثر من ثلاثين موضعا، فعصيان رسول الله ﷺ سبب للحرمان من دخول الجنة، وعلامة على الشقاء والحرمان عياذاً بالله ﷻ،

وعصيان رسول الله ﷺ هو الامتناع عن اتباعه وتنفيذ أوامره، وهو قسمان: عصيان كلي في حق الكفار الذين لم يستجيبوا له أصلاً، وهؤلاء والعياذ بالله يعني يكونون من أهل النار، وهنالك عصيان جزئي وهو في بعض الأمور، فهذا العصيان الجزئي يسبب لصاحبه الحرمان من دخول الجنة أولاً أو الحرمان من دخول درج الجنة العالية،

قد جاء عن النّبي ﷺ من الأحاديث العظيمة التي ينبغي أن نتدبرها لنكون على حذر على أنفسنا من أن نخسر ومن أن نحرم هذا الهدي النبوي الرحمة المهداة الذي أهداه الله جل وعلا رحمةً للعالمين، قال عليه الصلاة والسلام كما في حديث أبي أمامة «كُلُّكم في الجَنَّةِ إلَّا مَن شرَد على اللهِ شِرادَ البعيرِ على أهلِه» (١)

وجاء أيضاً في الصحيحين عن جابر أنّ النّبي ﷺ قال «وَمَا مَثَلِي ومَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نارًا، فَجَعَلَ الجَنادِبُ والْفَراشُ يَقَعْنَ فيها، وهو يَذُبُّهُنَّ عَنْها، وأنا آخِذٌ بحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِن يَدِي»

(١) رواه الإمام الطبراني في الأوسط، والحاكم، وهو في صحيح الجامع (برقم: ٤٥٧٠)

قوله رحمه الله: وَفِي الصَّحِيحِ-أي في صحيح البخاري-عَنِ ابن عَبَاسٍ ﷺ أَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلاَثَة : مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلاَمِ سنّة الْجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍ لِيُهْرِيقَ دَمَهُ»

قوله: «مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ» الملحد هو المائل عن الاستقامة، والمراد بالإلحاد في الحرم؛ قيل الظلم، وقيل عمل السيئة، وقيل الشرك، وقيل غير ذلك من استحلال المحظورات عمداً ونحوها، فالإلحاد هو الميل عن الاستقامة والحق، وهذه الصيغة الإلحاد في العرف الشرعي مستعملةٌ للخارج عن الدين، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله قال: هذه الصيغة في العرف مستعملة للخارج عن الدين، فإذا وصف بها من ارتكب معصية كان في ذلك إشارة إلى عظمها. ثم ذكر رحمه الله أن ظاهر سياق الحديث أن فعل الصغيرة في الحرم أشد من فعل الكبيرة في غيره، وهو مشكلٌ قال: فيتعين أن المراد بالإلحاد فعل الكبيرة وقد يؤخذ ذلك من سياق الآية ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ [سورة الحج:٢٥]. فإن الإتيان بالجملة الإسمية يفيد ثبوت الإلحاد ودوامة والتنوين للتعظيم أي من يكون إلحاده عظيما والله أعلم. (١)

فهذا الحديث فيه أصناف ثلاثة هم أبغض الناس إلى الله جل وعلا: الملحد في الحرم، وسمعنا شيئاً من الكلام عليه «وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلاَمِ سنّة الْجَاهِلِيَّةِ» مبتغٍ أي طالب ومريد، أن يكون في الإسلام سنّة أي طريقة من طرق الجاهلية، والجاهلية منتسبة إلى الجهل، وإذا أطلقت كلمة الجاهلية كما في هذا الحديث فالمراد بذلك ما كان قبل الإسلام، ما بين عيسى ومحمدٍ ﷺ فإنّه ينسب إلى الجهل؛ لأنّها طالت المدة وانتشر الجهل وذهبت ونسيت أكثر معالم الشريعة التي أوحاها الله ﷻ إلى عيسى ابن مريم عليه السلام،

وهذه اللفظة تشمل جميع سنن وعادات الجاهلية التي كانوا يعملونها من الشرك والخرافة وسفك الدماء والعصبيات، ونحو ذلك من الصفات والسنن والطرق الجاهلية الكثيرة التي بينها

---

(١) فتح الباري (٢١٠/١٢).

الإمام المصنف رحمه الله تعالى الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي كما في كتابه (مسائل الجاهلية) ذكر أكثر من مئةٍ وعشرين مسألة من مسائل الجاهلية التي كانت من عادات الجاهلين وخالفت الإسلام، وحقيقةً مسائل الجاهلية أكثر وإنّما ذكر تلك للتمثيل وإلا فمسائل الجاهلية تشمل كل ما كان عليه أهل الجاهلية من أخلاق وأعمال وعقائد وأحوال باطلة أساسها الجهل، وهي مخالفة لشرع الله ﷻ، ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية كما في المتن.

قال: قَوْلُهُ «سنّة الْجَاهِلِيَّةِ»: يَنْدَرِجُ فِيهَا كُلُّ جَاهِلِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ أَو مُقَيَّدَةٍ. كل جاهليةٍ مطلقة وهي كما سمعنا ما كان قبل الإسلام، ومقيدة أي بزمن معين أو ببلدةٍ معينة أو بطائفة معينة أو بشخصٍ معين، فمن كان في بلدة وعنده صفة مخالفة للشرع فهي جاهلية، فإنّه بمخالفته لهدي الإسلام وبعمله الذي لا يتقرب به إلى الله جل وعلا، ولا يعمل بكتاب الله ﷻ إنّه بذلك مخالفٌ وهو مبتغٍ في الإسلام سنّة الجاهلية.

قال: « وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍ لِيُهْرِيقَ دَمَهُ مُطَّلِبُ» يعني مريد مطالب مبالغ في الطلب، يتكلف أن يطالب بدم إنسان بريء ليسفك دمه والعياذ بالله، ولهذا قال: «بِغَيْرِ حَقٍ» احتراز عمن يطالب بحق كالقصاص ونحوه.

قال: وفي الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه قال: «يا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فإنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وشِمالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلالًا بَعِيدًا» رواه البخاري في باب قوله: «يا مَعْشَرَ القُرَّاءِ» المراد بهم العلماء بالقرآن والسنّة، وكذلك أيضا المتعبدون العاملون بكتاب الله وسنّة رسوله كما أفاده ابن حجر رحمه الله، وإذا أطلق القراء مع ذكر الفقهاء أو العلماء فالمراد بالقراء مع الجمع بين اللفظين يكون المراد الذين يقرأون القرآن بغير فقه، لكن إذا أطلقت كلمة القراء عند السلف فالمراد القراء أي العلماء والفقهاء العلماء بكتاب الله ﷻ.

قوله: «اسْتَقِيمُوا» أي اسلكوا طريق الاستقامة، وهي كناية عن التمسك بأمر الله تعالى فعلاً وتركا.

وقوله: «فإن فعلتم فقَدْ سَبَقْتُم» يعني المراد بذلك السبق في الصلاح والاستقامة ولهذا قال ابن حجر أي «سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا» أي ظاهراً، ووصفه بالبعد لأنّه غاية شأو السابقين، والمراد أنّه خاطب بذلك من أدرك أوائل الإسلام إذا تمسك بالكتاب والسنّة سبق إلى كل خير؛ لأنّ من جاء بعده إن عمل بعمله لم يصل إلى ما وصل إليه من سبقه إلى الإسلام، وإلا فهو أبعد منه حسا وحكما انتهى من كلام الحافظ رحمه الله. كما في المرجع السابق الصفحة التالية.

قالوا: «فإنْ أخَذْتُمْ يَمِينًا وشِمالًا» أي خالفتم الأمر المذكور، وكلام حذيفة رضي الله عنه منتزع من قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]. الآية التي سبقت معنا.

قَالَ: وَعَنَّ مُحَمَّدِ بنِ وَضَّاحٍ: أَنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ الْمَسْجِدِ–أي حذيفة–فَيَقِفُ عَلَى الْحَلْقِ فَيَقُولُ:... الأثر الذي سبق معنا قبل قليل «اسْتَقِيمُوا....»

وَقَال: أَنْبَأَنَا ابنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُجَالِدٌ يعني محمد بن وَضَّاحٍ يقول: أَنْبَأَنَا ابْنَ عُيَيْنَةَ عَنْ مُجَالِدٌ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: لَيْسَ عَامٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدِهِ أَشَرُّ منه لا تَقُولُ عَامٌ أَخْصَبُ مِنْ عَامٌ وَلَا أَمِيرٌ خَيْرٌ من أَمِيرٍ، لَكِنْ ذَهَابُ عُلَمَائِكُمْ وَخِيَارِكُمْ، ثُمَّ يَحْدُثُ أَقْوَامٌ يَقِيسُونَ الْأُمُورَ بِآرَائِهِمْ، فَيَنْهَدِمُ الإِسْلاَمُ وَيثْلَمُ.

هذا الأثر فيه مجالد بن سعيد وقد ضعفه أهل الحديث، وهذا الأثر قد ضعفه بعضهم فهو صحيح المعنى ويقويه ما ثبت في صحيح البخاري رحمه الله ،بابٌ: لا يأتي زمان إلا والذي بعده شرٌ منه، ثم ذكر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنهم شكوا إليه ما يلقون من الحجاج فقال: اصْبِرُوا فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زمانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقُوا رَبَّكُمْ.

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضَ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِن يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَي عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالًا فَسَئَلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُوا وَأَضَلُوا» رواه الإمام مسلم.

ففي هذا الأثر أنّه لا يأتي عام إلا والذي بعده شرٌ منه، استثنى بعض العلماء ما يحصل في عهد عيسى في آخر الزمان من تغير الحال، واستثنوا أيضاً ما حصل في عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فإنّ عهده خير مما قبله بقليل، ليس خير مما كان في عهد الصحابة ولكن مما قبله بيسير.

وقوله: ثُمَّ يَحْدُثُ أَقْوَامٌ يَقِيسُونَ الْأُمُورَ بِآرَائِهِمْ هذا واضح أن البدع والخرافات التي انتشرت، وكل فتنة وبلية إنّما تحصل بالقياس، وكذلك الشبه التي يأخذونها من كتاب الله ومن سنّة رسوله فيلبسون بها على الناس، ولهذا لا تظن أيها المسلم أن أي مبتدع أو أي منحرف يأتي إلى الناس فيقول لهم هذه البدعة والخرافة هكذا محضة وإنّما يأتي بشيءٍ من الأدلة يلبس بها عليهم، ولهذا يقول شيخ الإسلام: وكل من سوى أهل السنّة والحديث من الفرق فلا ينفرد عن أئمة الحديث بقولٍ صحيح، بل لا بد أن يكون معه من دين الإسلام ما هو حق؛ وبسبب ذلك وقعت الشبهة، وإلّا فالباطل محض لا يشتبه على أحد، ولهذا سمي أهل البدع أهل الشبهات، وقيل فيهم أنّهم يلبسون الحق بالباطل.(١)

نسأل الله ﷻ الثبات على دينه ونسأله ﷻ التوفيق لمرضاته والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٦٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الرابع

الحمد لله رب العالمين الملك المؤمن السلام، وأشهد أن لا آله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ [سورة إلا نعام:١٢٥].

وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله سيد الأنام –صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه– ، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره بإحسان وإكرام وسلم تسليماً كثيراً مزيداً إلى يوم الدين أما بعد:

فهذا هو الدرس الرابع من دروس شرح رسالة فضل الإسلام تلكم الرسالة العظيمة التي تزيد المؤمن حباً في هذا الدين العظيم، الكامل الشامل..

وهذا هو الباب الثالث: باب تفسير الإسلام

ومناسبة هذا الباب للبابين قبله جلية واضحة في تمام التناسب، وذلك أن المسلم إذا عرف فضل الإسلام، وعرف وجوبه، وأنه الدين الذي لا يقبل الله ديناً سواه فإنه يشتاق إلى معرفة الإسلام حتى يكون ممن عمل بالإسلام، واستقام على هذا الدين العظيم كما يريد الله جل وعلا.

وقول الله تعالى ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠﴾ [سورة آل عمران:٢٠].

وهذه الآية فيها تفسيرٌ للإسلام وذلك لأن قوله تعالى: ﴿أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾ معناه أي أخلصت لله وحده فلا أشرك به أحدا ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن

﴿تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة آل عمران:٢٠]. أي فإن جادلك أيها الرسول أهلُ الكتاب في التوحيد بعد أن أقمت الحجة عليهم فقل لهم أنني أخلصت لله وحده فلا أشك به أحداً، وكذلك من اتبعني من المؤمنين وهم الصحابة ﷺ أخلصوا لله وانقادوا له، وقل لهم ولمشركي العرب وغيرهم إن أسلمتم فأنتم على الطريق المستقيم والهدى والحق وإن توليتم فحسابكم على الله، وليس عليَّ إلا البلاغ وقد أبلغتكم وأقمت عليكم الحجة، والله بصيرٌ بالعباد لا يخفى عليه من أمرهم شيء(١) أنتهى.

وهنا قول ﷺ ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ معناه أخلصت ديني واستسلمت وانقدت بقلبي وقالبي، وإنما يعبر بالوجه ويراد به جميع البدن؛ لأنه أشرف الأعضاء، وهذا أسلوب عربي؛ ولأنه إذا اتجه نحو جهةٍ فإنه لا يلتفت إذا كان صادقاً وعازماً فإنه لا يلتفت، وهذه تحفة لطيفة أفادها بعض العلماء الأجلاء.

إذا الشاهد ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ فالآية هذه فسرت الإسلام بالإخلاص والتوحيد في القول والعمل، ففي هذه الآية ردٌ على من زعم أن الإسلام هو مجرد قول لا إله إلا الله، فبعض الناس من جهلهم يقول أمّة لا إله إلا الله إلى خير، وفعلاً هي إلى خير لكن لا إله إلا الله قولٌ وعمل لها شروط ولها أركان فمن قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه لا يمكن أن يعرض ولا يمكن أن يتعمد ترك فرائض الله جل وعلا، أما إذا قالها وهو غير صادق في ذلك فإنه يسهل عليه ترك الفرائض والواجبات.

وفي الصحيح عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الإِسْلَامُ أَنْ تشهدَ أَنْ لا إلهَ إِلَّا اللهَ وأَنَّ محمدًا رسولُ اللهِ وتقيمَ الصلاةَ وتؤتِيَ الزكاةَ وتصومَ رمضانَ وتحجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليه سبيلًا» وفي الصحيح أي في صحيح مسلم في حديث جبريل مشهور وهو عن عمر ليس عن عبد الله بن عمر أما حديث عبد الله بن عمر فهو في الصحيحين بلفظ

(١) التفسير الميسر (١/ ٥٢)

«بُنِيَ الإِسْلَامُ علَى خَمْسٍ :شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإِقَامِ الصَّلَاةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ»(١) وهذا الحديث «الإِسْلَامُ أَنْ تشهدَ» فسر الرسول ﷺ الإسلام بالقول والعمل فقال: «أَنْ تشهدَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وأَنَّ محمدًا رسولُ اللهِ وتقيمَ الصلاةَ» ولم يقل وتصلي، بل قال: «وتقيمَ الصلاةَ» والإقامة للصلاة معناه إقامة شروطها وأركانها وواجباتها وآدابها فهذا هو معنى الإسلام الحق، الإسلام أن تعمل بأحكامه وبواجباته وفرائضه، «أَنْ تشهدَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ» والشهادة هي إلا قرار بالشيء عن علمٍ به مع اعتقادٍ لصحته وثبوته، فليست مجرد قول باللسان بل تقتضي العلم والمعرفة، قال الله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [سورة الزخرف:٨٦]. أما من قال: لا إله إلا الله وهو لا يعلم معناه فإنه لا ينتفع بها

ومعنى «لا إِلهَ إِلَّا اللهُ» أي لا معبود بحقٍ إلا الله لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ [سورة الحج:٦٢].

ومعنى «وأَنَّ محمدًا رسولُ اللهِ» الاعتقاد الجازم والإقرار باللسان أن محمدا رسول الله ﷺ حقا، ومقتضى ذلك طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر وأن لا يعبد ربنا إلا بما شرعه رسولنا ﷺ ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب:٢١].

«وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ» هو إخراجها لمستحقيها بشروطها المعلومة في موطنها، «وصَوْمِ رَمَضَانَ» وهو الإمساك عن المفطرات بشروطٍ مخصوصة، «وَحَجِّ البَيْتِ» قصد بيت الله الحرام لأداء المناسك المعلومة في وقتٍ مخصوص.

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

فالنّبي ﷺ فسر الإسلام هنا بأركانه ومنها القولي ومنها العملي وهذه الأركان لا يقوم الدين إلا بها، فيجب على المسلم أن يحققها كما أراد الله جل وعلا، فالذي لا يصلي مثلاً مرتد عن الدين؛ لأنّ الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «العَهدُ الذي بَينَنا وبَينَهُم الصلاةُ، فمن تَرَكَها فَقَد كَفَرَ»(١) ومن لم يؤدي الزكاة جحوداً فإنه كافر: لأنه كذب بفرضيتها ، وأما من منعها بخلاً فإنه عاص وتؤخذ منه بالقوة، ولو امتنع فإنه يقاتل كما أجمع الصحابة على ذلك، ومن لم يصم رمضان جحوداً فهو كذلك كافر، فإن تركه كسلاً أو ترك بعضه فإنه عاص ناقص الإسلام ليس بمسلم كامل الإسلام لله ﷻ، والحج يجب على المسلم مرةً في حياته متى استطاع، ويجب أن يبادر إليه متى تهيأ له الأمر فالوجوب هنا على الفور،

والشاهد من الحديث أن الرسول فسر الإسلام الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة، فهذا مفهوم شامل للإسلام القولي كما سمعناه والعملي.

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «المسلِمُ من سلمَ المسلمونَ من لسانِهِ ويدِهِ»(٢)ليس في صحيح مسلم بل عن جابر في صحيح مسلم، وهو في البخاري عن عبد الله بن عمرو بلفظ «المُسلِمُ مَن سلِم المُسلِمونَ مِن لسانِهِ ويدِهِ، والمُهاجِرُ مَن هجَر ما نهى اللهُ عنه»(٣) وفي الصحيحين عن أبي موسى بلفظ قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أيُّ الإسْلامِ أفْضَلُ؟ قالَ: «مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ»(٤) وهذا الحديث فيه تفسيرٌ للإسلام بأن الإسلام شاملٌ للعبادة والمعاملة، فكأن الرسول ﷺ يقول للمسلمين الإسلام ليس في مجال العبادة فقط بل في مجال المعاملة والعبادة، في الأخلاق والسلوك والعقيدة، يشمل جميع الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٢١) وقال: حسن صحيح غريب. وقال الحاكم (١/٤٨): هذا حديث صحيح الإسناد لا تعرف له علة بوجه من الوجوه فقد احتجا جميعا بعبد الله بن بريدة عن أبيه واحتج مسلم بالحسين بن واقد ولم يخرجاه بهذا اللفظ ولهذا الحديث شاهد صحيح على شرطهما جميعا. وقال الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)): صحيح.

(٢)أخرجه الترمذي (٢٦٢٧)، والنسائي (٤٩٩٥)، وأحمد(٨٩١٨).

(٣)أخرجه البخاري (١٠) واللفظ له، ومسلم (٤٠) مختصراً.

(٤) صحيح مسلم ١/٦٦ ح(٤٢)

وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة الأنعام:١٦٢-١٦٣].

فهذا الحديث في بيان شمولية هذا الدين العظيم لجميع الأحوال، وأن علامة صدق المسلم في إسلامه أنه يسلم منه المسلمون من أذاه القولي والعملي، وقوله «المسلِمُ» الألف واللام هنا فيه للكمال؛ أي المسلم الكامل كما يقال: زيدٌ الرجل أو محمدٌ الرجل أي الكامل في الرجولية.

فأفضل المسلمين من جمع إلى أداء حقوق الله تعالى أداء حقوق المسلمين، فعلامة المسلم المستسلم لله التي يستدل بها على إسلامه هي استسلامه، وسلامة المسلمين من لسانه ويده، كما أن علامة المنافق بالعكس، ويحتمل أن يكون المراد بذلك الإشارة إلى الحث على حسن معاملة العبد مع ربه؛ لأنه إذا أحسن معاملة إخوانه فأولى أن يحسن معاملة ربه، من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، هكذا ذكر الحافظ رحمه الله

وذكر الرسول للمسلم أو المسلمين خرج مخرج الغالب؛ لأن محافظة المسلم على كف الأذى عن أخيه المسلم أشد تأكيداً، ولأن الكفار بصدد أن يقاتلوا وإن كان فيهم من يجب الكف عنه، يعني هنالك من الكفار أيضاً من يجب الكف عنه كالمعاهد والذمي، فليس هذا خاص بالمسلم، لكن المسلم هو أحق من يسلم من لسان المسلم ويده، وكذلك المسلمات الرسول قال: «مَن سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ» وهذا يشمل فالنساء يدخلن في جميع الأحكام إلا ما خصه الدليل.

وخص الرسول اللسان بالذكر لأنه المعبر عما في النفس، وهكذا اليد لأن أثر الأفعال بها، والحديث عامٌ بالنسبة للسان دون اليد لأن اللسان يمكنه القول في الماضيين والموجودين والحادثين بعد ذلك بخلاف اليد نعم يمكن أن تشارك اللسان في ذلك بالكتابة وإن أثرها في ذلك العظيم، ويستثنى من ذلك شرعاً تعاطي الضرب باليد في إقامة الحدود والتعازير المستحق لذلك، وفي التعبير باللسان دون القول نكتةٌ فيدخل فيه من أخرج لسانه على سبيل الاستهزاء،

وفي ذكر اليد دون غيرها من الجوارح نكتةٌ فيدخل فيها اليد المعنوية كالاستيلاء على حق الغير بغير حق، فيه انتهى من فتح الباري لابن حجر رحمه الله، وقد رأيت حسن هذا الكلام وما فيه من الملح والفوائد العظيمة.

وعن بهز بن حكيمٍ عن أبيه عن جده أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال: «أنْ تُسلِمَ قلبَك للهِ وأنْ تُوجِّهَ وجهَك للهِ وأنْ تُصلِّيَ الصَّلاةَ المكتوبةَ وتُؤدِّيَ الزَّكاةَ المفروضةَ»(١) رواه الإمام أحمد وحسنه الألباني رحمه الله وقوله: عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، جده: هو معاوية بن حيدة الصحابي رضي الله عنه، قوله قال رسول الله ﷺ سئل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال: «أنْ تُسلِمَ قلبَك للهِ» سبق معنا الإسلام القلبي لله وهو الإخلاص لله والعمل بمقتضى شهادة ألا إله إلا الله، «أن تسلم قلبك لله وأن تولي وجهك إلى الله» وهذا فيه إسلام الظاهر بعد أن ذكر إسلام الباطن بالإخلاص فذكر إسلام الظاهر بالاستقامة والانقياد لله جل وعلا، «وأن تولي وجهك إلى الله» وأن تولي وجهك إلى الله بالخضوع والانقياد لله سبحانه بفعل الشرائع مخلصاً له الدين، قال: «وأنْ تُصلِّيَ الصَّلاةَ المكتوبةَ» وهذا قد لك ذكرنا شرحه قبل قليل «وتُؤدِّيَ الزَّكاةَ المفروضةَ»

وعن أبي قلابة وهو الجرمي رضي الله عنه عن رجلٍ من أهل الشام عن أبيه أنه سأل رسول الله ﷺ ما الإسلام قال: «أنْ تُسلِمَ قلبَك للهِ، ويسلمَ المسلمون من لسانِك ويدك»، قال: فأيُّ الإسلامِ أفضلُ؟ قال: «الإيمانُ» قال: وما الإيمانُ؟ قال: «أن تؤمنَ باللهِ، وملائكتِه، وكتبِه،

---

(١) رواه أبو داود (٢١٤٢)، وابن ماجه (١٨٥٠)، وأحمد (٤/٤٤٧) (٢٠٠٢٧)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٥/٣٧٣) (٩١٧١). والحديث سكت عنه أبو داود، وحسنه النووي في ((رياض الصالحين)) (١٤٩) وابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (٣/٣٠١) كما أشار إلى ذلك في المقدمة، وصحح إسناده أحمد شاكر في ((عمدة التفسير)) (١/٢٧٧)، وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)): حسن صحيح.

ورسلِه، والبعثِ بعد الموتِ»[١] الحديث رواه الإمام أحمد، والحديث بهذا السند له شواهد تقويه، ومنها ما سبق من الأدلة في هذا الباب تقويه وتشهد له وقوله: «أنْ تُسلِمَ قلبَك للهِ» أيضاً سبق معنا تبين هذه اللفظة «ويسلمَ المسلمون من لسانِك ويدك» كذلك

ثم قال: أي الإسلام أفضل؟ الإيمان وهذا دليل على أن الإسلام إذا انفرد يشمل الإيمان ويشمل المراتب الثلاث ومنها الإحسان، وإذا اجتمع الإسلام مع الإيمان فالإسلام يفسر بالأعمال الظاهرة، والإيمان يفسر بالأعمال الباطنة، فهذا الحديث فيه أن الإيمان من الإسلام وأنه درجة قوية وعالية، وهنا فسر الإسلام بأركان الإيمان ففيه أن الإيمان والاعتقاد من الإسلام، فعلى هذا الإسلام منه الظاهري ومنه الباطني، يعني إيمانك بالله وبكتبه وبرسله واليوم الآخر هذا كله من الإسلام، هو درجة رفيعة وعالية عند الله جل وعلا، فهذا الباب العظيم فيه بيان الإسلام وبيان حقيقة الإسلام وأنه: قولٌ وعملٌ واعتقادٌ وأنه عبادةٌ ومعاملة.

فنسأل الله جل وعلا أن يوفقنا للاستسلام له ولشرعه والانقياد بطاعته، ونسأله ﷻ أن يجعلنا من المسلمين السالمين من الشرور والفتن والأهواء، وأن يثبتنا على دينه حتى نلقاه، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه أحمد (١١٤/٤) (١٧٠٦٨)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٥٥/١). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٤٧٦/٣): رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح، وقال الألباني في ((الإيمان)) لابن تيمية (ص٥): صحيح بشواهده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس الخامس

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فاللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً يا أكرم الأكرمين، اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، اللهم واجعله حجةً لنا لا علينا، اللهم علمنا منه ما جهلنا، وذكرنا منه ما نسينا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين.

يقول المصنف: باب قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران:٨٥].

لاحظ أن المصنف رحمه الله جعل هذا الباب آيةٍ من كتاب الله عز وجل، وهذا هو العلم النافع العلم، فالعلم قال الله قال رسوله، قال الصحابة ليس رأي فلان، ولهذا تلاحظ أن العلماء الربانيين الراسخين كالإمام البخاري وغيره يبوبون ويترجمون لكثيرٍ من الأبواب بآياتٍ من كتاب الله جل وعلا مما يدلك على قوة الحجة، وأن هذا العلم مبني على كتاب الله، وعلى كلام رسول الله ﷺ.

هذا هو العلم الذي يهتدي به المسلم، ويتنور به عقله، ويطمئن وينشرح له صدره، هذا هو العلم الذي يزيد المرء هدىً وتقىً وصلاحاً، ويزيده سعادةً في دينه ودنياه.

وقوله رحمه الله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران:٨٥].

هذه الآية الكريمة سبقت معنا في الباب الثاني من أبواب هذه الرسالة، حيث ذكرها في باب وجوب الإسلام، وهنا ذكرها في بابٍ خاصٍ بها تأكيداً لأهمية النجاة والتخلص من أي طريقة أو نحلة مخالفة لدين الإسلام.

أي نحلة، ملة، شرعة، طريقة، لم يشرعها الله ﷻ فإنه يجب على الإنسان عموما أن يتركها، وأن يتخلص منها، وأن يقبل على الدين الذي ارتضاه الله ﷻ للمسلمين، والذي أوجبه على الثقلين.

إذاً هذا الباب عظيمٌ جداً أن نهتم به، وأن نفهمه، ونوقن به، فإنك إذا عرفت الإسلام معرفةً تامة؛ فإنه يجب عليك أن تتبرأ وتحذر وتجتنب كل ما يخالفه من الأديان والطرق والمذاهب الباطلة المخالفة لدين الله ﷻ.

وقوله ﷻ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران:٨٥].

هذه الآية تشمل فئتين الفئة الأولى فئة اليهود، والنصارى، والمشركين، والبوذيين، ومن سواهم من أهل الملل، وتشمل أيضاً أهل البدع، والطوائف المنحرفة التي تنتسب إلى الإسلام، وهي متخذة طريقة وسائرة على منهج مخالف لمنهج الإسلام؛ فهذه تدخل في هذه الآية أنه لن يقبل من أحد أي دينٍ أو طريقةٍ وفكرٍ تخالف الإسلام، وقد أشرنا إلى هذا في الدرس الثالث.

وقوله تعالى: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ذكرنا هنالك أن الخسران على قسمين:

خسران كلي في حق الكافر، وخسران جزئي في حق المسلم الذي يدين لله تبارك وتعالى بطرقٍ مخالفة للشرع هذه الطرق لن تقبل منه، وهي مردودةٌ عليه، وما سواها من الأعمال إن كان فيها مخلصاً وموافقاً لهدي الرسول ﷺ متبعاً ومتأسيا فإنها تقبل منه بإذن الله ﷻ

قال: وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، إِذْ ذَاكَ وَنَحْنُ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«تَجِيءُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَجِيءُ الصَّلَاةُ، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصَّلَاةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصَّدَقَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصِّيَامُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ تَجِيءُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنْتَ السَّلَامُ، وَأَنَا الْإِسْلَامُ، فَيَقُولُ اللهُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، بِكَ الْيَوْمَ آخذ، وَبِكَ أُعْطِي، قَالَ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]» (١)

هذا الحديث العظيم عن أبي هريرة ﷺ الصحابي الجليل سيد الحفاظ لحديث رسول الله ﷺ وذلك ببركة دعاء النّبي ﷺ حينما دعا له أن لا ينسى شيئاً سمعه منه –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– .

يقول قال رسول –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–«تَجِيءُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قوله «تَجِيءُ الْأَعْمَالُ» ذكر بعض العلماء أن المقصود مجيء ثوابها لا حقيقة الأعمال، والله ﷻ جعل أحوال الآخرة تختلف عن أحوال الدنيا فيجعل الثواب شيئاً شاخصاً بارزاً ذاتا ينطق ويتكلم وهذا من قدرة الله ﷻ وأيضاً فأحوال الآخرة التي تختلف عن أحوال الدنيا.

وقول محققي أهل العلم من أهل السنة والجماعة: إن الأعمال تجيء بنفسها وهذا داخل في مشيئة ﷻ وأن الأحاديث تمر على ظاهرها، فتجيء الأعمال مجيئاً يقدره الله ﷻ في ذلك اليوم فتأتي تحاج وتشفع وترفع درجة صاحبها.

وقوله «تَجِيءُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَجِيءُ الصَّلَاةُ، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصَّلَاةُ» قال العلماء مجيء هذه الأعمال فيه التنافس، وأن كل عملٍ من الأعمال يريد أن يكون هو الميزان والمعيار الذي يُرفع به صاحبه، وهذا دليل على أن خير صاحبٍ للمرء هو عمله؛ فالعاقل هو

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده

من حرص على هذه الأعمال، وأتقنها، واستكثر منها وتقرب بها إلى الله مخلصاً متبعا؛ فإن هذه الأعمال هي التي تثبت لصاحبها وتدخل معه قبره وتحشر معه يوم القيامة وهي التي تدافع عنه.. أما الأبناء والأهل والأقارب فكلٌ يفر من الآخر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة عبس:٣٤-٣٧]. فهنا الصلاة تقول: يا رب أنا الصلاة فيقول الله أنك على خير فهي عمل عظيم أنك على خير أي أن منزلتك ثابتة وإن شأنك عظيم فالصلاة هي عمود الإسلام، ولها رتبةٌ عند الله جل وعلا عالية فتجيء الصلاة تريد أن تكون هي المعيار والمنزلة فيقول إنك على خير.

«فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصَّدَقَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ» الصدقة هي مشتقة من الصدق فهي تدل على صدق إيمان صاحبها.

والزكاة والصدقة هي الركن الثالث من أركان الإسلام وقد قرنها الله جل وعلا بالصلاة في آياتٍ كثيرة، دليل على فضلها وعظم شأنها ولها عوائد عظيمة، وثمرات جليلة تعود على المرء في دينه وفي دنياه، وفي أهله، وأولاده.

فالصدقة لها منزلة عند الله لذلك يقول الله: "إنك على خير"، قال العلماء يستفاد منه أسلوب تربوي أن الإنسان حينما يشفع عنده من يكون غيره أولى منه بالشفاعة أن يرد عليه بلطف.. بكلمة إنصاف إنك على خير وفضل.

قال «ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصِّيَامُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ»، من أركان هذا الدين صيام رمضان، وصيام النوافل له شأن عند الله جل وعلا يرفع به صاحبه، فيأتي الصيام يشفع له في الآخرة وأخبر عنه النّبي عليه الصلاة والسلام أنه لا مثل له، أي في تكفير الذنوب، وتزكية النفوس، ودخول الجنة، فقد جعل الله باباً من أبواب الجنة خاصاً بالصائمين يقال له الريان؛ فهنيئاً لمن كان في هذه الدنيا من المتصدقين.

قال «ثُمَّ تَجِيءُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَلِك» بقية الأعمال الصالحة صلة، الرحم بر الوالدين، الحج والعمرة، قراءة القرآن، وأعمال كثيرة تأتي تشفع لصاحبها فيقول الله ﷻ أنك على خير

- «ثمَّ يَجِيءُ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنْتَ السَّلَامُ، وَأَنَا الْإِسْلَامُ، فَيَقُولُ اللهُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، بِكَ الْيَوْمَ آخذ، وَبِكَ أُعْطِي» الإسلام خير الأعمال وأحبها وأزكاها عند الله جل وعلا، وهو مصحح الأعمال التي سبقت فهي مع جلالتها وعظمتها لا تقبل إلا بالإسلام فالإنسان مهما تصدق مهم عمل من الخيرات وهو كافر والعياذ بالله فإنه لا يقبل منه أي عمل كما قال الله ﷻ ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٢٣]. ثم إن هذا الإسلام توسل إلى الله ﷻ بوسيلةٍ عظيمة وهي أدعى للقبول حيث قال: «يَا رَبِّ، أَنْتَ السَّلَامُ» من أسماء الله السلام ومعناه السالم من جميع النقائص والعيوب وهذا يتضمن جميع صفات المدح والكمال لله ﷻ ومن معاني السلام أنه المسلم لعباده المؤمنين، فكل سلامةٍ في الدنيا والآخرة هي من آثار اسم الله السلام كما قرر ذلك من أهل العلم من قرر فقال «أَنْتَ السَّلَامُ، وَأَنَا الْإِسْلَامُ، فَيَقُولُ اللهُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، بِكَ الْيَوْمَ آخذ، وَبِكَ أُعْطِي»،

(بك اليوم آخذ) تحتمل معنيين:

الأول: أي أعاقب، وقيل المعنى أزن أي صاحب الأعمال، (بك أعطي) أتكرم وأفضل.. الله ﷻ يعطي المؤمنين عطاءً غير مجذوذ أي غير منقطع ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الإسراء:٢٠].

قال وَفِي الصَّحِيحِ عَن عَائِشَة رضي الله عنها أَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» رواه أحمد، قال الإمام العلائي رحمه الله "أي مردود غير مقبولٍ، باتفاق العلماء"، فأي عمل لم يشرعه الله ولا عمله رسول الله ﷺ فإنه مردودٌ على صاحبه، فما أحوج الأمة

الإسلامية إلى حفظ هذا الحديث، وإلى العمل بهذه الآيات العظيمة التي تبين أهمية التقيد بما جاء في شرع الله وفي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن فلاح الإنسان وصلاح حاله ورفعة درجته وقبوله يوم القيامة عند الله سبحانه إنما يكون بقدر تمسكه واتباعه لرسول الله ﷺ.

وقوله: في الصحيح أي في صحيح الإمام مسلم ثم ذكر بعد ذلك أنه رواه الإمام أحمد وهذا مما يدل على أن الإمام المجدد رحمه الله يهتم بتراث الإمام أحمد، والعلماء الحنابلة إذا ذكروا الصحيحين والحديث عند أحمد ينوهون إلى أن الإمام أحمد خرجه؛ ولهذا المجد ابن تيمية صاحب (منتقى الأخبار) كان يصطلح في كتابه (متفق عليه) والمراد عنده أنه اتفق على البخاري ومسلم وأحمد،

ثم قال المصنف رحمة الله علينا وعليه: باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه

وهذا الباب يعتبر من أهم الأبواب في هذه الرسالة الجليلة حيث يبين المصنف رحمة الله علينا وعليه أهمية اليقين والاعتصام بكتاب الله رب العالمين عن كل ما سواه، وقوله: عن كل ما سواه؟ أي الكتب السابقة والآراء، والقوانين وكل ما يخالف شرع ربنا جل وعلا، فإن المسلم يجب أن يكون واثقاً كل الثقة أن كتاب الله سبحانه وتعالى فيه الكفاية، قال الله عز وجل ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [سورة النحل:٨٩] فإذا كان الكتاب العزيز قد بين كل شيء فإنه يكفينا عن كل ما سواه؛ ولذلك قال ربنا جل وعلا ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة العنكبوت:٥١]. فالمؤلف رحمه الله تعالى أراد أن يبين أن متابعة الشرع كافٍ ومغنٍ عن كل ما سواه، فالمسلمون لا سيما في هذا الزمان بأمس الحاجة إلى معرفة هذه الأبواب، وهذه المسائل، والأصول العظيمة، فكل من رأى حال الأمة الإسلامية في هذه الأيام مع كثرة الأفكار، وكثرة الأديان، وكثرة الآراء والقوانين الوضعية والمستحدثة فإنه يرثي لحالها، كثير من الناس يظن أن

التقدم والتحضر والرقي أن يبقى متطلعاً وناظراً في حال الأمم المتحضرة والأمم المتقدمة في الصناعة وفي الطب وفي التكنولوجيا وغير ذلك، فيفتن كثير من الناس في دينه ويتلوث فكره بسبب ضعف يقينه بكتاب الله، وبسبب إعراضه عن دين الله وتقصيره وجهله، فما أحوج المسلمين إلى أن يتبصروا وأن يرجعوا وأن يوقنوا بكتاب الله ﷻ.

قوله ﷻ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [سورة النحل:٨٩]. هنا الكتاب المراد به القرآن الكريم والقرآن الكريم أنزله الله على رسوله وأنزل معه الحكمة وهي السنة كما قال الله ﷻ في كتابه الكريم عن نبي الله وخليله إبراهيم أنه دعا الله ﷻ بقوله ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وهو رسولنا ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [سورة البقرة:١٢٩]. فالحكمة هنا كما قال الحسن البصري وقتادة وغيرهم من المفسرين إنها السنة النبوية، فالسنة النبوية تبين القرآن وتوضحه وتبين كذلك معانيه وتزيد في بعض أحكام ولذلك قال الرسول «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» قال الله ﷻ في كتابه الكريم ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [سورة البقرة:٢٣١]. في هذه الآية وفي غيرها من الآيات القرآنية ردٌ على من ينكر السنة النبوية وما أكثرهم في هذا الزمان، فالمسلم يجب عليه أن يعلم أن دين الله جل وعلا مشتمل على كتابٍ وعلى سنة، كم آيات في القرآن كقوله ﷻ ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [سورة البقرة:١٥١]. فما هي الحكمة إذا لم يكن المراد بها السنة النبوية؟ فالقرآن الكريم ذكر وذكرت معه الحكمة دليل على أن كلا الأمرين وحيٌ من عند الله ﷻ وقال الله ﷻ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر:٧]. وقال الله ﷻ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم:٣-٤]. وقال الله ﷻ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة النحل:٤٤]. فكيف يبين للناس ما نزل إليهم من

القرآن؟ أي بالأحاديث التي قالها فالله ﷻ فرض في القرآن الصلاة فمن علم الناس شروط الصلاة وأوقات الصلاة؟ هل ذكر الله أن صلاة الظهر تكون في وقت كذا وصلاة العصر تكون في وقت كذا؟ لم يذكر ربنا جل وعلا تحديد الأوقات إنما بينت ذلك السنة النبوية، وهكذا الزكاة ذكرها الله جل وعلا إجمالاً ثم فصلها رسول الله ﷺ بين زكاة الابل، زكاة الغنم، زكاة الذهب والفضة، زكاة الأموال ونحو ذلك، وهكذا بين الله في سورة الجمعة بقوله ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [سورة آل عمران:١٦٤]. فكتاب ربنا جل وعلا بين لنا أهمية الرجوع إلى سنة نبينا –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم– فالذي ينكر القرآن إنه كافرٌ بالله، والذي ينكر السنة كافرٌ بالله ﷻ، ولذلك يقول العلماء من أنكر السنة فقد أنكر الكتاب، ومن أنكرهما أو أحدهما فهو كافرٌ بالإجماع ولا يجوز التعامل معه، ولا مع أمثاله، بل يجب هجره والتحذير من فتنته وبيان كفره وضلاله في كل مناسبةٍ حتى يتوب إلى الله ﷻ انتهى من كلام العلامة ابن باز رحمه الله كما في مجموع فتاواه وقال قد ذكر الإمام السيوطي رحمه الله تعالى كفر من جحد السنة في كتابه المسمى (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة) فقال: اعلموا رحمكم الله أن من أنكر كون حديث النّبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة فقد كفر وخرج عن دائرة الإسلام وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفرة. انتهى، من هذا النقل يتبين إجماع أهل العلم على كفر من أنكر السنة النبوية أو أحاديث الرسول المعروفة والتي توفرت فيها صفات القبول فإن من أنكر ذلك فإنه كافرٌ بالله ﷻ وكافرٌ بدين الله ﷻ.

قال ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [سورة النحل:٨٩]. ما معنى تبياناً لكل شيء؟ أي لأمور الدين لأمور الهداية لأمور الحلال والحرام كما جاء ذلك عن السلف

الصالح ﷺ في تفسير هذه الآية الكريمة، ففي أمور الدين لا نحتاج إلى تشريعات ولا نحتاج إلى اختراعات ولا إلى بدع.

فيجب أن نستغني بكتاب الله سبحانه وبهدي رسول الله ﷺ وكذلك في أمور الدنيا؛ فالله ﷻ قد بين لنا الحلال والحرام، وبين لنا أصول أصول أمور الدنيا وما هو الذي يحبه الله، وما لا يحبه، وما هو سبب العزة وسبب التمكين وسبب صلاح الحال بين الله إجمالاً، وكذلك بعض الأمور بالتفصيل لكن ليس معنى قوله ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أنه بين كل العلوم الدنيوية بتفاصيلها فهذا لا يقول به أحد وإنما قوله ﷻ ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام:٣٨]. بين ﷻ أصول هذه العلوم قال تعالى ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [سورة العلق:٥]. وقال ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ [سورة الأنبياء:٧]. قال بعض العلماء اسألوا أهل الذكر أي أهل العلم، وكل علمٍ فله أهله وعلماؤه فيسألون في مجالهم.

وَرَوَى النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ النَّبِي ﷺ أَنَّهُ رَأَى فِي يَدِ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ ﷺ وَرَقَةً مِنَ التَّوْرَاةِ فَقَالَ: «أَمُتَهَوِّكُونَ فيها يا ابنَ الخطابِ؟ لقد جِئْتُكُم بِهَا بَيْضَاءَ نقيَّةً، وَلَو كَانَ مُوسَى حَياً وَاتَبَعْتُمُوهُ، وَتَرَكْتُمُونِي ضَلَلْتُمْ» وفي روايةٍ «لَوْ كَانَ مُوسَى حَياً مَا وَسِعَهُ إِلَا اِتبَاعِي» فقال عمر: رَضِيْتُ بِاللهِ رَبًا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَدٍ ﷺ نَبِيًا هذا الحديث يروى معناه من وجوهٍ عديدة، يدل مجموعها أن له أصلا كما ذكر ذلك ابن حجر ورواه أحمد كذلك، والبيهقي، وحسنه الإمام الألباني، ورواه أحمد .

قوله عليه الصلاة والسلام «أَمُتَهَوِّكُونَ فيها يا ابنَ الخطابِ؟» هذا الكلام معناه أمتحيرون، أمتشككون يا ابن الخطاب؟ يعني هذا الدين كافٍ و شامل لكل خير، ويغني عن كل ما سواه، وهذه الكلمة خرجت مخرج الزجر لغير عمر بن الخطاب ﷺ فالرسول يعلم أن عمرا ليس متحيراً بل هو من أشد الناس يقيناً وإنما رأى أن يقرأ في هذه التوراة ينظر ماذا فيها، وإلا فالتوراة – كما في القرآن الكريم– بين الله أنها محرفة، وأنها مبدلة لفظاً ومعنى فالرسول يقول «أَمُتَهَوِّكُونَ

فيها يا ابنَ الخطابِ؟» فهذا الحديث أصل في المنع من قراءة الكتب التي فيها ضلال وبدع، والتي فيها شبه وشكوك، وشعوذة وسحر وغير ذلك، ولهذا ذكر العلماء والفقهاء أن من أحرق كتب الضلال أنه لا ضمان عليه،.. وفيها يعني بيان لبعض المسلمين الذين التثقف والاطلاع من باب التعرف على الأشياء،.. فهذا الإنسان الذي يجعل فكره مطلقاً ومفتوحاً لكل شيء يدخل على نفسه الشبه والردى وربما يتسبب في الضلال والانحراف عياذاً بالله ﷻ، فيجب على المسلم أن يحافظ على نفسه، فكما أنك لا تشرب إلا الماء الصافي النقي الذي ليس فيه أي أوساخٍ.. فإنك يجب أن تشرب العلم الشرعي صافياً نقياً وأن لا تعرض نفسك للشبه فإن كثيراً من الناس عرضوا أنفسهم للقراءة في الكتب الضالة فضلوا وانحرفوا، وبعضهم ارتد عن الإسلام، فالواجب على المسلم الحذر من الاسترسال والتساهل في الاطلاع وبعض الناس عامي ضعيف العلم ولكن يقول لك دعنا نطلع وننظر ماذا عند الناس وأنا عندي عقل آخذ ما ينفعني وأترك ما يضرني، ما يدريك يا عبد الله إنك ستتبصر بما ينفعكم مما يضرك، ما يدريك ومن يضمن لك إنك تنجو، وأنك تثبت، وأنك تميز بين النافع من الضار، فإن كثيراً من الناس ضل وانحرف بسبب كثرة مطالعته أو سماعه أو مشاهدته لأهل الضلال والردى.

قال لقد جِئْتُكُم بِهَا بَيْضَاءَ بهاء أي الملة وبيضاء أي واضحة، ونقية بمعنى صافية خالصة من الشكوك ومن الأوهام، وقيل نقية بمعنى مصونة من التبديل والتحريف، وصفها النّبي عليه الصلاة والسلام بالبياض وهذا دليل على كرمها وعلى فضلها، وهذا دليل على فضل الإسلام.

قال عليه الصلاة والسلام «وَلَو كَانَ مُوسَى حَياً وَاتَبَعْتُمُوهُ، وَتَرَكْتُمُونِي ضَلَلْتُمْ» وفي روايةٍ «لَوْ كَانَ مُوسَى حَياً مَا وَسِعَهُ إِلَا اِتبَاعِي» ولذلك فإن الله ﷻ أخذ الميثاق على جميع الأنبياء والرسل أنهم إذا أدركوا بعثة النّبي ﷺ أن يؤمنوا به كما قال الله جل وعلا ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [سورة آل عمران: ٨١]. لما أتيتكم من كتابٍ قال الله ﷻ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ

رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة آل عمران:٨١]. وقال النّبي عليه الصلاة والسلام « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ مِن هَذِهِ الْأُمَّة ثُمَّ لم يُؤمن بِي وَلا بِالَّذِي جِئْت بِهِ إِلَّا كَانَ مِن أَهْل النَّارِ » فالله ﷻ أخذ العهد على الأنبياء وعلى أممهم أن من أدرك النّبي عليه الصلاة والسلام فإنه يجب أن يؤمن به، وأن يتبعه، ولهذا عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل في آخر الزمان فيأخذ بشريعة نبينا محمدٍ عليه الصلاة والسلام ويعمل بها، فإذا كان إذا كان موسى عليه السلام لو وجد لتبع الرسول فمن باب أولى الذين ينتسبون إليه من اليهود والنصار أن يتبعوا نبينا عليه الصلاة والسلام ؛ فإن رسالته عليه الصلاة والسلام لجميع العالمين، فإذا كان الأنبياء لو بعثوا لاتبعوه فمن باب أولى غيرهم ممن ينتسب إليهم، أو من المسلمين أنفسهم ممن يتطلع إلى كتب اليهود والنصارى للقراءة فيها.

قال علي وابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه

فعلى المسلم أن يتمسك بدينه، وأن يعلم أن كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام شاملة لكل خير، وأن فيها الهدى، وأن فيها الكفاية، وأن ما سواها فهو محرف أو مبدل أو قد زيد فيه ونقص منه، فالمسلم يثبت على دينه يتمسك بشرع ربه ﷻ ويعتز بهذا الدين العظيم الذي اصطفاه الله، والذي رضيه الله جل وعلا للمسلمين.

فهذان الدرسان من أهم الدروس في هذا الكتاب، فأنصح بالاهتمام والإكثار من مراجعة هذين الدرسين وإتقان مفادهما ومضمونهما فإنهما تضمنا معاني جليلة لو تمسك بها المسلمون لصاروا في خيرٍ عظيم.

بهذا القدر نكتفي سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس السادس

الحمد لله عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه ومن سار على نهجه ومنواله وتسليماً كثيرا، أما بعد:

فيقول المصنف رحمة الله علينا وعليه: باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام.

هذا الباب أيها الإخوة الكرام مما ينبغي أن يفهم جيدا وأن يعرف مقصد المصنف رحمه الله من هذه الترجمة وهو بيان أسباب حدوث الافتراق في هذه الأمة الإسلامية، وأسباب التضاد والتباين، وما حصل من فرح كل فرقةٍ وطائفةٍ بما هي عليه، وتعصب كل نحلةٍ لما هي فيه من المخالفة لشرع الله ﷻ.

فقوله: باب ما جاء أي من الوعيد الشديد والزجر الأكيد لكل من خرج عن دعوى الإسلام،

والخارجون عن دعوة الإسلام صنفان:

إما أن يخرج عنه بالردة إلى الشرك والكفر، اليهودية، النصرانية.. فهذا سيأتي في نواقض الإسلام وليس مقصد المصنف هذا، ولكن المقصود الخروج عن دعوى الإسلام بالانتماء إلى طرق وطوائف يتعصب لها المرء ويفرق الأمة الإسلامية، فهذا من أعظم الأمور التي ينبغي للمسلم أن ينتبه لها.

وقول الله تعالى ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا...﴾ [سورة الحج:٧٨].

هذه الآية هي خاتمة سورة الحج حيث قال المولى سبحانه قال سبحانه وبحمده ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ

وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [سورة الحج:٧٨].

قوله ﷺ ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ أي ربنا جل وعلا اختص هذه الأمة وتفضل عليها بأن جعل لها لقباً خاصاً عن سائر الأمم فقال ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ هذا هو المراد عند جمهور المفسرين، وقيل إنّ الضمير عائدٌ على إبراهيم أنّه الذي سمى هذه الأمة بالمسلمين، فكانت الأمم السابقة يطلق على المتبعين للرسول بالمؤمنين أو الحواريين أو نحو ذلك لكن أمة محمدٍ ﷺ اختصت بهذه التسمية التي لا يخالطها فيها ولا يشاركها أحدٌ من الأمم السابقة، قال تعالى ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ﴾ هذا شرف لهذه الأمة أن الله تولى تسميتها بهذا الاسم العظيم (المسلمين) ، والإسلام هنا المراد به الإسلام الخاص، فهنا ﴿ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ أي المستسلمين لله وفق ما جاء في هدي رسول الله ﷺ .

قال ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾ أي سمانا الله جل وعلا في الكتب السابقة بالمسلمين حيث بشر بإمام المتقين، وأخبر عن أمته بأنهم المسلمون، ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ أي وفي القرآن الكريم.

قال رحمه الله عن الحارث الأشعري ذكر المصنف رحمه الله تعالى حديث الحارث الأشعري مختصراً، وهذا نصه من مصدره؛ عن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النّبي ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ أمرَ يحيى بنَ زَكريَّا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بِها، ويأمرَ بني إسرائيلَ أن يعملوا بِها، وإنَّهُ كادَ أن يبطئَ بِها. فقالَ عيسى: إنَّ اللَّهَ أمرَكَ بخمسِ كلماتٍ لتَعملَ بِها، وتأمرَ بني إسرائيل أن يعمَلوا بِها، فإمَّا أن تأمرَهم، وإمَّا أنَ آمرَهم. فقالَ يحيى: أخشَى إن سبقتَني بِها أن يُخسَفَ بي أو أُعذَّبَ، فجمعَ النَّاسَ في بيتِ المقدسِ فامتلأَ المسجدُ وقعدوا على الشُّرُفِ فقالَ: إنَّ اللَّهَ أمرني بخمسِ كلماتٍ أن أعملَ بِهنَّ، وآمرَكم أن تعملوا بِهنَّ، أوَّلُهنَّ أن تعبُدوا اللَّهَ ولا تشرِكوا بِهِ شيئًا، وإنَّ

مَثلَ من أشكر باللَّهِ كمثلِ رجلٍ اشترى عبدًا من خالِصِ مالِهِ بذَهبٍ أو ورِقٍ، فقالَ: هذِهِ داري وَهذا عملي فاعمَل وأدِّ إليَّ فَكانَ يعملُ ويؤدِّي إلى غيرِ سيِّدِهِ فأيُّكم يرضى أن يَكونَ عبدُهُ كذلِكَ وإنَّ اللَّهَ أمرَكم بالصَّلاةِ فإذا صلَّيتُم فلا تلتفِتوا فإنَّ اللَّهَ ينصِبُ وجْهَهُ لوجْهِ عبدِهِ في صلاتِهِ ما لم يلتفِت وآمرُكُم بالصِّيامِ فإنَّ مَثَلَ ذلِكَ كمَثلِ رجلٍ في عصابةٍ معَهُ صُرَّةٌ فيها مسْكٌ فَكلُّهم يعجبُ أو يعجبُهُ ريحُها وإنَّ ريحَ الصَّائمِ أطيبُ عندَ اللَّهِ من ريحِ المسْكِ وآمرُكم بالصَّدقةِ فإنَّ مثلَ ذلِكَ كمثلِ رجلٍ أسرَهُ العدوُّ فأوثَقوا يدَهُ إلى عنقِهِ وقدَّموهُ ليَضربوا عنقَهُ فقالَ أنا أفديهِ منْكُم بالقليلِ والكثيرِ ففدى نفسَهُ منْهم وآمرُكم أن تذْكروا اللَّهَ فإنَّ مثلَ ذلِكَ كمثلِ رجلٍ خرجَ العدوُّ في أثرِهِ سراعًا حتَّى إذا أتى على حِصنٍ حصينٍ فأحرزَ نفسَهُ منْهم كذلِكَ العبدُ لا يحرزُ نفسَهُ منَ الشَّيطانِ إلَّا بذِكرِ اللَّهِ» إذاً هذه خمس كلمات عظيمة، الله ﷻ أمر يحيى بن زكريا أن يعمل بها وقد فعل ذلك، وأن يأمر بني إسرائيل،.. ثم ذكر الحديث بهذه الكلمات الخمس التي هي أصول الدين، والتي هي أساس السعادة في الدارين.

قال المصطفى ﷺ «وأنا آمرُكم بخَمسٍ اللَّهُ أمرني بهنَّ: السَّمعُ والطَّاعةُ والجِهادُ والهجرةُ والجَماعةُ، فإنَّه مَن فارق الجَماعةَ قيدَ شبرٍ فَقد خلعَ رِبقةَ الإسلامِ مِن عنقِه إلَّا أن يراجِعَ، ومن ادَّعى دعوى الجاهليَّةِ فإنَّه من جُثى جهنَّمَ. فقال رجلٌ: يا رسولَ اللَّهِ وإن صلَّى وصامَ؟ قال: وإن صلَّى وصام فادعوا بدَعْوَى اللهِ الذي سمَّاكم المسلمينَ المؤمنينَ عبادَ اللهِ» فهذا الحديث العظيم من الأحاديث الصحيحة التي صححها المحدثون القدماء وكذلك المتأخرون، فهذا الحديث يذكره الإمام أحمد، ويصححه الترمذي، والألباني والإمام الوادعي.

وهنا نبينا –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–ذكر خمس خصال وأمرنا بهن وأخبر أن الله ﷻ أمره بهن فهذا مما يؤكد أهمية هذه الخصال.

قال: «السَّمعُ والطَّاعةُ» أي لولاة أمر المسلمين، وهذه المسألة عليها أدلة من القرآن الكريم، وعليها أدلة كثيرة ومتواترة من سنة سيد المرسلين عليه صلوات رب العالمين، والسمع والطاعة لولاة الأمر مقيد بالمعروف ليس مطلقا ولهذا لما الله ﷻ بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ قال ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [سورة النساء:٥٩]. ولم يقل وأطيعوا أولي الأمر، نبه أهل العلم من أهل التفسير أن العطف هنا بما يوافق طاعة الله وطاعة رسوله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ، وَيُطِيعُوا، فَأَغْضَبُوهُ فِي شَيْءٍ، فَقَالَ: اجْمَعُوا لِي حَطَبًا. فَجَمَعُوا لَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا. فَأَوْقَدُوا، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَسْمَعُوا لِي، وَتُطِيعُوا؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَادْخُلُوهَا. قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّمَا فَرَرْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّارِ. فَكَانُوا كَذَلِكَ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، وَطَفِئَتِ النَّارُ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ ". فالسمع والطاعة لولاة الأمر مما استقر عليه إجماع المسلمين إلا من خالف من أهل البدع والأهواء فإنهم يرون الخروج على ولي الأمر، وقد نقل الإجماع الإمام النووي والقاضي عياض وغيرهما أن السمع والطاعة لولي الأمر وإن كان ظالماً أو فاسقاً وجائراً؛ لأن الخروج عليه يولد من المفاسد، ويضيع من الحقوق والأمان ما هو أضعاف أضعاف المفسدة والضرر الحاصل منه.

إذاً نبينا عليه الصلاة والسلام افتتح الخمسة الأوامر التي أمره الله ﷻ بالسمع والطاعة لولاة الأمر، ولماذا لم يأمر الرسول قبل ذلك بالتوحيد والصلاة؟ أولاً: لأنها سبقت في وصايا يحيى بن زكريا لأمته، وهي وصايا من ربه جل وعلا فالرسول صلى الله عليه وسلم أتى بأمور جديدة، وأيضا نبه الرسول ﷺ على أشياء يقع فيها الاختلاف وبسببها ما يقع من الشرور والفتن، إذا لم تحفظ وتضبط ويعمل بها، أما الصلاة فما اختلف المسلمون في فرضيتها ولا في أدائها، وكذلك الصيام، وإن كانوا قد يختلفون في فروع يسيرة لكن لا يختلفون في فرضيتها ومشروعيتها، بخلاف السمع والطاعة لولاة الأمر فتلاحظ من يُكذب، وينكر ويرد بعض الأدلة الشرعية كما هو الحاصل في هذا العصر من بعض الناس الذين فتنوا بالرئاسة والمناصب، وبعضهم تأثر بالبدع والأهواء فإذا به يرد بعض الأحاديث ويستهزئ والعياذ بالله ممن يقول له قال الله وقال رسوله

ﷺ ويقول أنتم من أعوان الظلمة، وأنتم وأنتم، هذا ما فقه وإن فقه فإنه مغالطٌ ومعاندٌ ومكابرٌ للواقع، فالذي يأمر أو ينصح بالسمع والطاعة لولاة الأمر هو يقتدي بكلام الله، وكلام رسوله ﷺ، وقد سمعنا أن الحكمة من السمع لولاة الأمر أن في ذلك ضبط يعني لأمن الناس واستقرارهم، واستتباب إقامة دينهم وجماعاتهم وجُمعهم، بخلاف لو انفلت الأمن وحصلت الفتنة والقتال يعني وخرج الناس على ولاة فإن ذلك يسبب من الفساد ما لا يخفى على شريف علمٍ المستمع لا سيما أننا نشاهد ونرى ونسمع ونعلم ما حصل من آثار هذه الفتن الحاصلة بين المسلمين اليوم بسبب ما جرى من الخروج على ولاة أمور المسلمين في البلدان العربية وغيرها.

قوله: «السَّمعُ والطَّاعةُ» لماذا أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بهذا وقدمه على غيره؟ لأن ولي أمر المسلمين إذا سمع له في طاعة الله وأطيع في طاعة الله جل وعلا فإن إعانته على توطيد الأمن والاستقرار سبب لإقامة جميع الحقوق، وجميع الطاعات والشعائر الدينية، فالإيمان والأمان قرينان.

قوله: عليه الصلاة والسلام «والجِهادُ» أي الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ﷻ، وهذا الجهاد في سبيل الله هو مرادٌ لغيره، يعني المقصود منه أن يسلم أعداء الله أو أنهم يُقَاتَلوا حتى لا تكون فتنةٌ وشركٌ في أرض الله ﷻ، فليس المقصود من قتال الكفار التشفي، وإذلال المخالفين واستئصال كل من لم يكن على هذا الدين فقط ولكن لأنه لم يدخل في الإسلام ولهذا الرسول عليه الصلاة والسلام كان إذا أرسل الجيوش، يأمر الأمراء أن يدعوا الكفار قبل القتال، هذا دليل على أن القتال ليس مراداً لذاته وإنما هو مرادٌ لإقامة دين الله جل وعلا.

إذاً الجهاد لأعداء الله ﷻ هو من شعائر الإسلام، وهو ذروة سنام الإسلام وذلك لما يسبب للإسلام من العزة، ومن القوة، ويسبب من نشر هذا الدين العظيم، ولكن هذا القتال له شروط، وأحكام شرعية ومن أهم ذلك أنه لا يجب إلا إذا قدر المسلمون على مواجهة أعدائهم بالعدد والعدة، وأيضا أن يكون عن طريق ولاة أمور المسلمين؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال «الإمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِن ورَائِهِ» فلا يصلح أن يكون الجهاد إلا عن طريق

ولاة الأمر، وأيضا مع القوة والقدرة، ولذلك فإن الرسول ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة وفي المدينة النبوية مكث قرابة سنة ثم بعد ذلك أذن الله له وأمره بالقتال حينما أسس دولة الإسلام، وحينما أيده الله جل وعلا بالرجال الصادقين ويسر له الأسباب.

والجهاد الذي مدحه الله والذي يحبه الله ﷻ قسمان: جهاد النفس والهوى، وجهاد الأعداء وقد أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام أن أفضل الجهاد جهاد النّفس لماذا؟ لأن جهاد النفس سبب لإعانتك على جهاد أعداء الله، فإذا لم تكن مؤهلا باستقامة وتقوى وإخلاص ويقين فإنّك لست مؤهلا لمواجهة أعداء الإسلام،

وجهاد أعداء الإسلام بأمرين: جهاد بالحجة والبيان وهذا يستطيعه كل مسلم، حتى ولو لم يكن عالماً فإنه يستطيع أن ينشر كلام أهل العلم في الدعوة إلى الإسلام، والترغيب فيه، ودفع الشبهات عنه، وفي نشر الكتب ونحو ذلك.. ودليله قوله تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة:٧٣]..برد الشبه وبيان المكر والكيد والاحتيال، والخطط والتآمر على الإسلام والمسلمين، وبيان العقائد الباطلة والأفكار والأنظمة والقوانين المخالفة للشرع، وهكذا يرد على المذاهب الإلحادية كالعلمانية والشيوعية وغيرها من المذاهب الباطلة المخالفة لدين الإسلام، يفندها ويكشف زيفها وبطلانها، هذا أعظم الجهاد بل إنه أعظم من جهاد السيف؛ لأن جهاد السيف قد تقتل به واحدا أو اثنين أما هذا فتقتل به آلافاً إن لم يكن ملايين من المشركين، ولهذا قال ابن القيم رحمه الله: إن تبليغ السنن إلى الناس أعظم من تبليغ السهام إلى الأعداء، وهذا من فضل الله عز وجل علينا أن يسر لنا أنواع الجهاد..

قوله: «والهِجْرَةُ» الهجرة قرينة الجهاد في سبيل الله في آياتٍ كثيرة.. عجز أيضا عن إقامة دينه في بين ظهراني الكفار فإنه يجب عليه شرعاً أن يهاجر، ﷻ؛ فأرض الله واسعة ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة العنكبوت:٥٦]. وقال الله جل

وعلا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧﴾ [سورة النساء:٩٧]. وقد ذكر العلماء أن الهجرة تجب أيضا من بلاد البدعة التي عجز المسلم أن يقيم على السنة وأن يسلم من البدعة، وكذلك بلاد المعاصي التي استحكمت واستولت وتفشت ولم يأمن المسلم على نفسه من الوقوع في الفواحش والمعاصي على أهله وأولاده.

فالهجرة هنا لم تقيد من بلاد الكفر فقط بل الهجرة أن تهجر ما نهى الله عنه، وأن تهجر المكان الذي لا تقدر فيه على هجر ما نهى الله عنه؛ ولهذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام «الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ» هذه أعظم الهجرة أن المسلم يتقي الله ﷻ فيهجر معصية الله، وكل ما يخالف شرع الله.

قال عليه الصلاة والسلام «وَالْجَمَاعَةُ» والمراد بالجماعة، جماعة المسلمين، أن المسلم يجتمع مع إخوانه المسلمين بقلبه وقالبه أن يكون واقفاً معهم فيما يوافق شرع الله وأن يعينهم على البر والتقوى وألا يشق عصاهم، وألا يفرق جماعتهم، ولا يتحزب ولا يتعصب لأن ذلك ينافي إخوته الدينية، ومحبته الإسلامية لإخوانه المسلمين فإن هذه العصبية تسبب الشحناء والبغضاء، وتسبب التقاطع والتدابر، وتسبب الغل والحقد، وتسبب الكذب والافتراء، وتسبب مصائب عظيمة جداً فعلى المسلم أن يلزم جماعة المسلمين.

وضد الجماعة الفُرقة ولهذا قال «فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ» أي جماعة المسلمين «قِيدَ شِبْرٍ» أي قدر شبر «فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِن عُنُقِهِ إِلَّا أَن يُرَاجِعَ» فمعنى كلام الرسول عليه الصلاة والسلام فإنه من فارق الجماعة.. خرج عن جماعة المسلمين، وشذ عنهم، وفرق جمعهم ولو بكلمة، ولو في مسألة معينة بما يسبب الاختلاف والتضاد والشحناء والبغضاء فقال «فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِن عُنُقِهِ» وربقة الإسلام عروة الإسلام، العروة الوثقى، وليس المقصود هنا

أنه خرج عن الإسلام كلياً، وإنما وردت هذه اللفظة مورد الزجر، وكذلك التوبيخ والتقريع لهذا الذي خرج وفارق جماعة المسلمين.

قال «إِلَّا أَن يُرَاجِعَ» يعني إلا أن يتوب، إلا أن يتوب إلى الله ﷻ من مخالفته لجماعة المسلمين، والخروج عن الجماعة يكون بأمور: إما بالانتساب إلى فرق جديدة مستحدثة عما كان عليه المسلمون في عهد النّبي ﷺ كالذي ينتسب إلى المعتزلة، أو ينتسب إلى يعني الحرورية الخوارج، أو الصوفية أو الباطنية.. فإنه يشمل هذا الوعيد الشديد وياله من وعيد!.

قال: «فَقَدْ خَلَعَ رِبقَةَ الإِسْلَام مِن عُنُقِه إِلَّا أَن يُرَاجِعَ وَمَن دَعَا دَعْوَةَ الْجَاهِلِيَة فَإِنَّهُ مِنْ جُثَى جَهَنَمَ» من دعا دعوى الجاهلية المراد بدعوى الجاهلية كل ما كان من أمر الجاهلية من الشرك، ومن الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجم وما كان من العادات الباطلة المخالفة لشرع الله ﷻ؛ فإن هذه كلها تسبب لصاحبها هذا الوعيد، فإنه قال عليه الصلاة والسلام «فَإِنَّهُ مِنْ جُثَى جَهَنَمَ» وجثى هنا جمع جثوة وهي الحجارة المجتمعة، يعني كناية على أنه يطرح في النار كما يرمى بالحجارة والعياذ بالله تبكيتاً له وإهانة، فإنه من جثى جهنم،

.

فقال رجلٌ يا رسولَ اللهِ وإنْ صلَّى وصام قال: «وإنْ صلَّى وصام» أي فإنه متوعد بهذا الوعيد مزجور كذلك بهذا الزجر الأكيد.

قال: «فادعوا بدَعْوَى اللهِ الذي سمَّاكم المسلمينَ المؤمنينَ عبادَ اللهِ» أي أدعوا بعضكم بعض، أدعوا بعضكم بما دعاكم الله، وسموا بعضكم بما سماكم الله ﷻ المسلمين والمؤمنين عباد الله.

إذاً هذا الحديث من الأحاديث العظيمة، حتّى أن الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى يقول عن هذا الحديث كلمةً نفيسةً " هذا الحديث من الأحاديث العظيمة وجوامع الكلم التي اشتملت على كل المطالب الدينية التي تنفع العباد في دينهم وفي دنياهم، وفيما يصلح

شأنهم في اجتماعهم في الدين، وفي اجتماعهم في أمر الدنيا،". فهذا الحديث من تدبره وحفظه وعمل به فقد أفلح كل الفلاح.

وفي الصحيح «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ» وفيه «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟!» وفيه أي في الصحيح، وهو في حديث جابر في القصة الأنصاريين الذين حصل منهما في بعض الغزوات أن اختلفا، فقال ذاك: يا للمهاجرين، وقال ذاك: يا للأنصار؛ بسبب أن أحدهما كسع صاحبه، فقال النّبي ﷺ«مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ» هذا هو لفظ الصحيحين فالرسول عليه الصلاة والسلام زجر هذين الصحابيين على ما حصل من أن انتمى أحدهما إلى المهاجرين، وذاك إلى الأنصار مع أن التسمية شرعية، الله ﷻ هو الذي سمى المهاجرين بذلك، وسمى الأنصار بذلك فهي تسمية شرعية وإنما حصل الإنكار على التعصب، فكيف بالذي ينتسب إلى طائفة محدثة؟ ليست يعني بتسمية شرعية، وليس انتمائه إليها شرعياً ومع ذلك يتعصب فيكون جمع بين سوأتين والعياذ بالله.

قَالَ أَبُو الْعَبَاسِ: وهو ابن تيمية رحمه الله أحمد بن عبد الحليم شيخ الإسلام: كُلُ مَا خَرَجَ عَنْ دَعْوَى الإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ مِنْ نَسَبٍ كالذي يفتخر بأنه هاشمي أو يفتخر بأنه قبيلي أو يفتخر بأنه ابن فلان العالم، أَوْ بَلَدٍ كالذي يفتخر بأنه يماني أو أنه سعودي أو أنه إماراتي أو أنه قطري أو أنه مصري أو أنه تركي أو أنه سوداني أو غير ذلك، قال أَوْ جِنْسٍ أو جنسٍ كالذي يفتخر بأنه عربي على العجمي أو نحو ذلك.

قال أَوْ مَذْهَبٍ أي من المذاهب التي يعني جاءت ووردت عن الفقهاء، أو مذاهب أخرى فالمذاهب على نوعين: المذاهب شرعية كالمذاهب الأربعة، ومذاهب باطلة كالمذاهب المعاصرة، المحدثة التي تخالف دين الله جل وعلا والتي تدعو إلى الشرك أو تدعو إلى الكفر والعياذ بالله، هنالك مذاهب إلحادية باطلة.. والطرق، أي الطرق المنحرفة يعني كطرق الصوفية فهي كثيرة منها النقشبندية، ومنها كذلك القاديانية،.. فالذي يتعصب لهذه الطرق فهو من عزاء الجاهلية.

قال: بَلْ لَمَا اخْتَصَمَ مُهَاجِرِيٌّ وَأَنصَارِيٌّ فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلمُهَاجِرِينَ، وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنصَارِ، فقال النّبي ﷺ: «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟!» وكما سمعت اللفظ: «مَا بَالُ دَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ» وَغَضِبَ لِذَلِكَ غَضَباً شَدِيداً. انتهى كلامه رحمه الله

إذاً هذا الدرس الله حفظكم الله من الدروس التي ينبغي أن يعتنى بها وأن يهتم بها.

فنسأل ﷻ أن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس السابع

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى، ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيدا، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما مزيداً، أما بعد:

فيقول المصنف رحمة الله علينا وعليه: باب وجوب الدخول في الإسلام كله، وترك ما سواه.

المصنف رحمه الله تعالى يريد من هذه الترجمة، ومن هذا الباب أن يبين أن مخالفة السنة بالتفرق، والابتداع خلاف الدخول في الإسلام كله، وأن العمل بالسنة النبوية، والابتعاد عن الأهواء والبدع تطبيقٌ للدخول في الإسلام كله.

وقول المصنف رحمه الله باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه هذا هو من مقتضى الاستسلام لله ﷻ أن المسلم يؤمن بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويعمل بشرع الله كله لا يؤمن ببعضٍ ويكفر ببعض كما كان اليهود والنصارى فالله ﷻ كفرهم وبين أن كفرهم أشد الكفر بسبب ذلك.

فهنا المصنف رحمه الله تعالى يقول باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه، والدخول في الإسلام معناه الأخذ بجميع جوانبه، ما يشمل العقيدة، والمنهج، والسلوك، أن يكون المسلم عبداً لله ومستسلماً لأمر الله، ومطبقاً لأحكام الشرع في كل أحواله؛ فاذا كإن المسلم في المسجد عبداً لله وفي غير المسجد لا يبالي بأحكام الشرع، ولا يبالي بالحرمات، ولا يبالي بالحدود التي حدها الله ﷻ؛ فإن هذا دليل على عدم دخوله في الإسلام كله، دليل على ضعف الإيمان، وقلة التعظيم، والخوف من الله ﷻ؛

فانتبه يا عبد الله لهذا الدرس وتأمل هذه المعاني الجليلة،

لنحاسب أنفسنا جميعاً أين نحن من الدخول في الإسلام كله امتثالا لقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [سورة البقرة:٢٠٨].

فالله ﷻ يخاطبنا جميعاً وينادينا باسم الإيمان: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يا منْ منَّ الله عليكم بالإيمان.. ما هو الأمر الذي أمرنا الله به؟: ﴿ادخلوا في السلم كافة﴾ والسلم هنا هو الإسلام عند عامةِ المفسرين، وقيل هو الطاعة، والمعنى متقارب، والخطاب في هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لهذه الأمة على الأرجح من أقوال المفسرين وقيل هو خطابٌ لأهل الكتاب أن يدخلوا في الإسلام كله وهو ما جاء به نبينا ﷺ وهو الناسخ للأديان السابقة.

إذاً هذه الآية واضحة أن الله ﷻ يأمرنا أن ندخل في الإسلام كله، وأن نتمسك به، وأن نحذر الدخول فيما سوى دين الإسلام مما يخالفه لأن معناه الانتقاص للإسلام، وعدم الإيمان بكمال الإسلام، وشمولية الإسلام،.. فإذا كان الإنسان يعيش بهواه وبمزاجه يأخذ ما وافق هواه ومزاجه، ويترك ما خالفه؛ فهذا والعياذ بالله علامة على الخسران، عياذاً بالله، وقد مر أن هذه طريقة أهل الكتاب أنهم قالوا يريدون أن يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فالله ﷻ وصفهم بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾ [سورة النساء:١٥١].

قال: وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠﴾ [سورة النساء:٦٠].

(ألم تر) هذا استفهام تقريري أي ألم تعلم يا محمد أو ألم تنظر ببصيرتك وبفكرك إلى هذه الثلة من المنافقين.

وقوله تعالى: (يزعمون) معناه أنهم لم يكونوا مؤمنين حقا وإنما زعموا والزعم في الغالب يطلق على الكذب يقال زعم فلان إذا كان كاذبا، وقد يطلق أحياناً في الكلام المرجوح وإن كان صاحبه صادقا، لكن الأغلب أن الزعم علامة الكذب، والبطلان.

قال الله: ﴿يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ يعني من كتب السابقة يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به فأين الإيمان بالله وبكتابة وسنة رسوله وأين الدخول في الإسلام كله إذا كان هؤلاء إذا بدا لهم أمر أو رغبت نفوسهم في شيء فإنهم يتركون دين الله ويقبلون على أعداء الله فهؤلاء أخذوا ببعض الكتاب وما لم يناسب أهواءهم تركوه وأقبلوا على أهل الكتاب، وأقبلوا إلى الأحكام الجائرة، وأقبلوا على اليهود والنصارى، وأفكارهم، وأنظمتهم، وقوانينهم عياذاً بالله ﷻ.

قال: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [سورة الأنعام:١٥٩].

هذه الآية الكريمة قيل إنها في أهل الكتاب أنهم فرقوا دينهم وسيأتي معنا الحديث أن بني إسرائيل من اليهود افترقوا إلى إحدى وسبعين فرقة، والنصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، فهؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً أي فرقاً وأحزاباً تفرقوا مع أن نبيهم واحد وأن دينهم الذي كلفهم الله به واحد؛ قال الله لست منهم في شيء هذا فيه التبرؤ والتحذير الشديد والنهي الأكيد والزجر العظيم لمن أراد أن يتشبه بهؤلاء أو أن يسلك سبيلهم.

فالله ﷻ يخبر أن نبيه ﷺ مبرأ من طريقة هؤلاء وهكذا أتباعه فإنهم مبرؤون مما عليه أهل التفرق والاختلاف من اليهود والنصارى.

وقيل: إن هذه الآية تشمل أهل البدع من هذه الأمة؛ كما جاء في الحديث الذي أشرنا إليه آنفا، وسيأتي معنا نصه أن المسلمين سيفترقون على ثلاثٍ وسبعين فرقة فهذا الافتراق كله مما ينهى عنه.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: "الظاهر أن هذه الآية شاملة" قال الشيخ صالح آل الشيخ "وهو الصحيح" يعني شاملة لكل المتفرقين سواءً من الأمم السابقة أو من هذه الأمة.

فهذه الفرق والأحزاب أهلها لم يدخلوا في السلم كافة لأن الإسلام يدعو إلى الأخوة ويدعوا إلى الوحدة وأن هذه الأمة أمة واحدة ليس فيها تفرق، وليس فيها تحزب، ومن جاء بالتفرق والتحزب فقد خرج عن دعوى الإسلام كما في الباب السابق.

قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [سورة آل عمران:١٠٦]: «تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف»

فعبد الله ابن عباس هو ترجمان القرآن الكريم يفسر الآية الكريمة ببياض وجوه أهل السنة والائتلاف معناه هو الاجتماع والأخوة، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف من أين استنبط ابن عباس هذا التفسير؟

لو تقرأ يا أخا الإسلام الآيات قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ

تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ [سورة آل عمران: ١٠٠-١٠٥].

علمت أن هذه الآية تعني أهل السنة المجتمعين ببياض الوجه يوم القيامة وأن المتفرقين تسود وجوههم والعياذ بالله.

وهذا البياض والاسوداد وإن كان يشمل الكفار والمنافقين والمجرمين؛ أيضاً ممن يشمله ذلك أهل الفرقة والبدع والأهواء ولذلك ثبت في الصحيح عَنْ أَبِي غَالِبٍ، قَالَ: رَأَى أَبُو أُمَامَةَ رضي الله عنه رُءُوسًا مَنْصُوبَةً عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ، فَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ: «كِلَابُ النَّارِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ» ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، قُلْتُ لِأَبِي أُمَامَةَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا حَتَّى عَدَّ سَبْعًا مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ» (١) الحديث في السنن عند الترمذي وصححه الألباني رحمه الله وحسنه.

فهذا الأثر عن النبي ﷺ فيه ذكر الخوارج وأنهم كلاب أهل النار وفيه الحكم عليهم بأنهم ممن تسود وجوههم يوم القيامة فدلت الآية أن من ترك الأهواء والبدع أنه يبيض وجهه يوم تبيض وجوهٌ وتسود وجوه ففي هذا الأثر من الفوائد أيضاً:

التسمي بالسنة وأنه تَسَمٍ قديم من عهد الصحابة رضي الله تعالى عنه.

فلا يقولن قائل لماذا ننتسب إلى السنة نحن مسلمون ننتسب إلى الإسلام؟

يقال: يا عبد الله أليس المنتسبون إلى الإسلام طوائف وفرق كثيرة فأنت كيف ستُعرف بأنك على الإسلام الصافي؟ كيف تظهر عقيدتك الصحيحة؟ إلا بأن تنتسب إلى السنة المطهرة السالمة من البدع والأهواء.

---

(١) سنن الترمذي ت شاكر ٥/٢٢٦ ح(٣٠٠٠)

وفي هذا الأثر أيضاً أن الافتراق غالباً يكون بسبب الأهواء والبدع، وأن البدع تفرق المسلمين.. البدعة التي يستحسنها بعض الجهلة، وبعض المغرر بهم، وبعض المغفلين يتقربون بها إلى الله ﷻ ويزعمون أنهم يحسنون صنعا

إنها تفرق الجمع وتمزق الشمل وإن التفرق بسبب الشهوات والمعاصي أقل من هذه البدع والأهواء، ولهذا لم يحصل القتل، والقتال، والشحناء، والبغضاء بأشد مما يحصل من أهل التحزب، والفتن، والبدع، والأهواء.

قال: وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»

هذا الحديث رواه الترمذي وحسنه الألباني رحمه الله تعالى وقد رواه جماعةٌ من الصحابة كأبي هريرة ومعاوية قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى "هذا خبرٌ يتضمن النهي" يعني ليس معنى الإخبار الإقرار وإنما المراد أن الرسول عليه الصلاة والسلام يذكر حال أهل الكتاب الذين غضب الله عليهم والذين ضلوا عن سواء السبيل أن هنالك من أمة الإسلام من سيتبعهم ويحذوا حذوهم وهذا بلا شك وبلا ريب طريقٌ للردى والهلاك لأنه تشبهٌ بالهالكين والمغضوب عليهم والضالين عياذاً بالله رب العالمين.

وقد جاء في بعض الروايات أن اليهود تفرقوا على إحدى وسبعين فرقة وأن النصارى على اثنتين وسبعين فرقة.. وهذا الحديث فيه بيان الإجمال أنهم وصلوا في العدد إلى اثنتين وسبعين ملة في عهد النصارى وأن أمة محمد ستفترق على ثلاثٍ وسبعين ملة أي طائفة وفرقة وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ وحصل التفرق والتمزق ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم حكم الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: كلهم في النار إلا ملةً واحدة.

هذا الحديث فيه الوعيد، وأحاديث الوعيد كما هي القاعد عند أهل العلم أنه لا يلزم وقوعها لأن هؤلاء ما زالوا في إطار الإسلام، والمراد بهذه الطوائف المنتسبة إلى الإسلام ممن لم تخرج وتمرق عن هذا الدين وإلا فهنالك طوائف حكم عليها العلماء بالكفر لا تدخل في هذه المسميات ولا يشملها هذا الوعيد بل هم خارجون عن الدين يشملهم وعيد الكفار والمنافقين كالجهمية والباطنية ونحوهم من الطوائف الإلحادية التي كفرها أهل العلم قاطبة.

وإنما هذا الحديث يشمل الطوائف الإسلامية المبتدعة وأنه حكمٌ عليها ووعيدٌ لها بالنار والعياذ بالله ﷻ.

(قال الرسول صلى الله عليه وسلم: إلا ملةً واحدة) أي طائفة قالوا ومن هي يا رسول قال: (ما أنا عليه وأصحابي) هذه الفرقة الناجية التي تسير بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه؛ وهم أهل السنة وأهل الحديث المتمسكون بما عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

وفي الآونة في الأخيرة صار المنتسبون وإلى الحديث طوائف عندها من البدع وعندها من الأهواء وهذا لا يغني عنهم شيئاً وأيضاً لا يلبس على الإنسان المتبصر والمتمسك فإنه إنما يعرف الإنسان بالتمسك بالكتاب والسنة وما كان عليه الرسول والصحابة.

أما إذا كان ينتمي ويدعي وهو بعيدٌ بأقواله وأفعاله وهو متحزبٌ ومتفرق فإن هذا لا ينفعه لا ينفعه الانتساب.

قال المصنف وليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق المصدوق ﷺ في هذا المقام خصوصا قوله: ما أنا عليه وأصحابي فَيَا لَهَا مِنْ مَوْعِظَةٍ لَوْ وَافَقَتْ مِنَ الْقُلُوبِ حَيَاةً رواه الإمام الترمذي.

فالمصنف رحمه الله تعالى ينوه ويلفت الانتباه إلى هذا الحديث وما فيه من العزة، ومن الترغيب للمسلم بأن يعتصم بهذه الجماعة وما كان عليه الرسول والصحابة وفيه من الوعيد أيضاً والترهيب مما عليه أهل الفرقة فيا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة أي حياةٌ

إيمانية.. فمن يسمع مثل هذا الوعيد الشديد ثم يصر على التفرق والانتماءات المبتدعة هذا والله من الشقاء والغفلة الشديدة عياذاً بالله.

قال: ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة وصححه ولكن ليس فيه ذكر النار وهو في حديث معاوية عند أحمد وأبي داود وفيه: «وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ(١) " وَقَالَ عَمْرٌو: «الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ» (٢)

نعوذ بالله من أن يخالط قلب المسلم وروحه وبدنه ورأسه ويديه ورجليه البدعة والهوى والفتن والتحزب نعوذ بالله من هذا السلوك ومن هذا الطريق.

قال وتقدم قوله: «وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ» يعني هذا الحديث سبق شرحه رحمكم الله وسبق معناه أن البدع والأهواء والتحزب والتعصب من سنن الجاهلية عياذاً بالله ﷻ.

وعموماً قد حكى شيخ الإسلام الإجماع على أن هذه الطوائف التي أشرنا إليها في الحديث الذي ذكره المصنف عن النبي ﷺ أن الخارجين عنها ليس معنى خروجهم عن السنة أنهم قد خرجوا عن الإسلام وإنما خرجوا عن السنة فقط ونقل على ذلك الإجماع.

وخلاصة هذا الدرس ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام أن الانتماءات والتسميات الحادثة التي فيها العصبية إلى قبيلة أو إلى بلد أو إلى جنسٍ أو إلى مذهب أو إلى طريقة أو إلى حزبٍ أو نحو ذلك من أمور الجاهلية وأنها خروجٌ عن التسمية الإسلامية الشرعية. ثم اعلموا إخواني أن الانتماءات لها ثلاثة أحوال:

- ❖ حالةٌ تكون فيها ممدوحة
- ❖ وحالةٌ تكون فيها مذمومة
- ❖ وحالة تكون فيها مباحة

---

(١) يعني تسري فيهم الأهواء والعياذ بالله كما يتجارى الكلب وهو داء يصاب به العبد بسبب عضة كلبٍ ونحوها

(٢) سنن أبي داود ١٩٨/٤ ح(٤٥٩٧)

فأما الانتماء والانتساب الممدوح فهو الانتماء إلى الإسلام وإلى ما دل على معناه كالانتماء إلى السنة التي هي التطبيق الأمثل للإسلام فالانتماء إلى السنة انتماءٌ إلى النبي صلى الله عليه وعلى إله وسلم وإلى ما أمرنا به رسول الله ﷺ بقوله: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»(١)

وكذلك الانتماء إلى السلفية فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقا» (٢)

الانتماء كذلك إلى الجماعة وهي جماعة الإسلام جماعة الصحابة ومن تبعهم بإحسان هذا كما سيأتي معنا في الباب الآتي أنها تسمية شرعية وأن الرسول أخبر أن الفرقة الناجية هي الجماعة فهذا الانتماء مشروع.

الانتماء الثاني: محرم وهو الانتماء إلى ما في خروج عن دعوى الإسلام وعن التسمية الإسلامية كالانتماء إلى القدرية، أو الجهمية، أو المعتزلة، أو الجبرية، أو المرجئة، والحرورية، والخوارج ونحو ذلك من الطوائف والأحزاب التي تبنت لها فكرة وطريقة مخالفة للشرع ودعت الناس إليها وإلى التعصب لها فهذا الانتماء محرم.

الحالة الثالثة: التي يكون فيها الانتماء مباحاً وهو ما كان للتعريف فقط تنتمي إلى بلدك أو إلى جنسك أو إلى وظيفتك ومؤسستك أو إلى مذهب فقهي تسير عليه فهذا إذا كان بدون تعصب وبدون معاداة وبدون تفرق فإنه جائز ما لم يصل إلى هذه المحظورات الشرعية وهي العصبيات والتفرق والبدع، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سنن أبي داود ٤/٢٠٠ ح(٤٦٠٧)

(٢) مجموع الفتاوى (٤/١٤٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الثامن

الحمد لله وصلى الله وسلم على نبيه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول المصنف رحمة الله علينا وعليه: باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر.

هذا الباب يدل أن مراد المصنف بهذه الرسالة الإسلام الصافي. وهو السنة، وقد تقدم معنا أن السنة هي المثل التطبيقي للإسلام الذي أراده الله ﷻ.

قال: بابٌ مَا جَاءَ أَنَّ الْبِدَعُة أَشَدُّ مِنَ الْكَبَائِرِ.

البدعة في اللغة: هي ما أُحدث على غير مثالٍ سابق.

وفي الشرع: هي كل ما أُحدث بعد موت النبي ﷺ بنية التعبد ولم يدل عليه دليل من الكتاب والسنة. وسيأتي معنا إن شاء الله في باب التحذير من البدع. مزيد إيضاح للبدعة وتعريفها. وهنا يقول الْبِدَعُة أَشَدُّ مِنَ الْكَبَائِرِ. الكبائر هي الذنوب العظيمة المستقبحة. وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تعريف الكبائر أنه قال: كل ذنبٍ ختمه الله بنارٍ أو لعنةٍ أو غضب أو عذاب. وزاد بعض أهل العلم أو حدٍ في الدنيا أو تبرؤ من صاحبه هذا تعريف الكبائر، وجاء عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أيضاً أنه قال: هي إلى السبع مائة أقرب فالكبائر كثيرة، أعاذنا الله وأجارنا الله وإياكم والمسلمين منها.

وقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء:٤٨]. هذه الآية أوردها المصنف رحمه الله مستدلاً بها على أن البدعة أخطر من الكبيرة. لماذا؟

قال بعض العلماء البدعة أشبه بالشرك؛ لأنه يتعبد بها كما يتعبد بالشرك ويتقرب به إلى الله ﷻ.

وأيضاً قال بعض أهل العلم: لأن البدع بريد الشرك. وأيضاً البدع على قسمين:

- منها بدعٌ شركية.

- ومنها بدعٌ لا تصل إلى الشرك وإن كانت وسيلة إليه.

فصاحب البدعة بعيد عن التوبة أبعد من غيره كما سيأتي معنا في الباب الآتي إن شاء الله تعالى.

فالبدعة كما أنها وسيلة إلى الشرك فهي أيضاً من أسباب حرمان التوبة والمغفرة إذا أصر عليها الإنسان ولقي الله جل وعلا بها وهذه الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة النساء:٤٨]. فيها ردٌ على المعتزلة والخوارج. الذين يعتقدون أن الله ﷻ لا يغفر لأهل الكبائر. ويكفرون أهل القبلة . فالآية واضحة أن الله ﷻ يغفر لجميع المسلمين. ولا يغفر للمشركين.

قال: وقوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ [سورة الأنعام:١٤٤]. استدل المصنف رحمه الله بهذه الآية على أن المبتدع مفترٍ على الله؛ وذلك أنه يقول على الله جل وعلا ما لم يقله الله، ويرغب الناس في شيءٍ لم يشرعه الله، . وأيضاً من هذه الآية في قوله ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ فالمبتدع مضلٌ للآخرين. وقد قال نبينا ﷺ «وكل بدعةٍ ضلالة» وهذه الآيات الكريمة لو تأملت الآيات التي قبلها مثلاً ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ من قوله ﷻ ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ [سورة المائدة:١٠٣]. فهذه الآيات وما بعدها فيها نسبة العقائد الباطلة المحدثة إلى الله. وفيها تقول على الله أنه شرعها ولم يشرعها الله ﷻ ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ﴾، ولكن المشركين جعلوها ونسبوها إلى الله وجعلوا لله ﷻ مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا.

قال رحمه الله: قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة النحل:٢٥]. في هذه الآية الكريمة أن أهل البدع ممن يدخلون في هذا المعنى أنهم يحملون أوزار من أضلوهم ومن لبسوا عليهم دينهم ومن ساقوهم وقادوهم إلى البدع وإلى الخرافات. فالمبتدع أشد من العاصي وصاحب الكبيرة. لأن المبتدع يقتدى به. بخلاف صاحب الكبيرة فإن الناس لا يقتدون به تقربا إلى الله ﷻ.

قال: وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي الْخَوَارِجِ «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ». هذا الحديث في صحيح الإمام البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، هؤلاء الخوارج مبتدعة بإجماع الصحابة، والصحابة رضي الله عنهم لم يكفروهم مع أنهم كفروا المسلمين وكفروا الصحابة وخرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونبينا ﷺ قد أطلعه الله جل وعلا أنهم سيمرقون من الدين وأنهم يكثرون الصلاة والصيام وأنهم يقومون الليل لكنهم يقاتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان فقال «أينما لقيتموهم فاقتلوهم».

قال: وَقَالَ ﷺ «لَئِنْ لَقِيتُهُم لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ» هذا في حديث أبي سعيد أيضاً في الصحيحين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله البدعة أعظم إثماً من المعصية بدلالة السنة والإجماع وآثار السلف في ذلك كثيرة. آثار السلف ذكر منها الإمام ابن بطة في الإبانة رحمه الله آثاراً منها: عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى أنه قال: البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية؛ لأن البدعة لا يتاب منها فإن صاحبها يزعم أنه على طاعة، ويدعو إليها ويصر عليها بخلاف صاحب المعصية فإنه يعلم أنها معصية، ويخاف من عقوبتها، ويستحي من فعلها.

قال: وَفِيهِ أَنَّهُ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ أُمَرَاءِ الْجَوْرِ مَا صَلَّوا. هذا حديث عوف بن مالك رضي الله عنه حينما قال نبينا ﷺ «خِيارُ أئمَّتِكُمُ الَّذينَ تحبُّونَهُم ويحبُّونَكُم وتُصلُّونَ علَيهِم(١) ويصلُّونَ علَيكُم

(١) معنى يصلون : أي يدعون : انظر ((صحيح مسلم بشرح النووي)) (١٢/ ٢٤٥) .

وشرارُ أئمَّتِكُمُ الَّذينَ تبغَضونَهُم ويبغَضونَكُم وتَلعنونَهُم ويَلعنونَكُم»[١] الحديث وفيه قالوا يا رَسولَ اللهِ، أفَلا نُنابِذُهُمْ بالسَّيْفِ؟ فقال ﷺ «لَا مَا صَلُّوا» يعني ما داموا يصلوا «لَا مَا صَلُّوا» الحديث عند الإمام مسلم رحمه الله تعالى. فهذا فيه أن أمراء الجور لا يقاتلون مع أن الرسول ﷺ أمر بقتال الخوارج، دل على أن المبتدع أخطر من صاحب الكبيرة.

وقد نقل شيخ الإسلام رحمه الله علينا وعليه [٢] إجماع العلماء على أن ولاة الأمر لا يقاتلون وإن كانوا جائرين، فهذا فيه أن البدعة أشد من المعصية.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رجلاً تصدق بصدقةٍ ثم تتابع الناس، فقال رسول الله ﷺ «مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بهَا بَعْدَهُ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شيءٌ، وَمَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كانَ عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بهَا مِن بَعْدِهِ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِمْ شيءٌ». رواه الإمام مسلم. وهذا الحديث دلالته كدلالة الآية السابقة. ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فهذا فيه أن المبتدع حينما يبتدع بدعة، ويتبعه الناس عليها أنه يحمل أوزار الذين اتبعوه، والذين اقتدوا به وعملوا ببدعته، نعوذ بالله من هذه السيئات المتتابعة، وهذه السيئات التي تلحق صاحبها إلى قبره. وليس في هذا الحديث حجة للذين يبتدعون بدعاً ويقولون إنّها بدعة حسنة ليست بدعة سيئة، أو يقولون أنّ البدعة أقسام منها المكروه ومنها المحرم ومنها المستحب ومنها ومنها.... هذا غير صحيح.

أولاً: الحديث ليس فيه من ابتدع بدعةً حسنة، بل «مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً» «مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً»، وأيضاً من سياق الحديث يفهم أن الرسول ﷺ رغب الناس في الصدقة على قومٍ جاءوا من مضر فقراء مجتابي النمار قد اشتدت بهم الحال فتأثر النبي-صلى

---

(١) رواه مسلم (١٨٥٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/١٠٣)

الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- فوعظ الناس وحثهم على الصدقة فتصدقوا بصدقات فلما رأى النبي ﷺ صدقاتهم تهلل وجهه وقال: «مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً». هذه إشارة إلى الذي جاء بصرة كادت أن تعجز يده عنها أو قد عجزت، فالناس لما رأوه أقبلوا وتشجعوا على هذا الخير، فقال «مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً» والصدقة ليست ببدعة.. وقد قال نبينا ﷺ «كُلُ بِدْعَةٍ ضَلَالَة» وهذا كان يقوله صلى الله عليه وسلم في خطبة الحاجة. وأيضاً في أحاديث العرباض بن سارية «فَإِنَّ كُلَ بِدْعَةٍ ضَلَالَة». إذاً فالحذر الحذر من البدع كلها صغيرها وكبيرها ما استحسنه الإنسان وما لم يستحسنه.

قال رحمه الله تعالى: وله مثله من حديث أبي هريرة ولفظه «مَنْ دَعَا إِلَى هُدَى....» أي فله من الأجر مثل أجور من تبع.هـ

قال ثم قال: «وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْوِزْرِ مِثْلَ أَوْزَارِ مَنْ تَبِعَهُ». إذاً هذا الباب خلاصته أن البدعة أشد من الكبائر لأمور:

- الأمر الأول: أنها بريد الشرك، وأنها قد تسبب حرمان التوبة والمغفرة لا سيما إن أصر عليها فإنه لا يوفق للتوبة.
- وأن صاحب البدعة يقتدى به فيحمل أوزار من تبعه، قال بعض أهل العلم: يحمل أوزارهم (كاملة) بخلاف الذين يدعون إلى المعاصي والكبائر فإنهم وإن اتبعهم بعض الناس فإنما يكون عليهم كفلٌ منها كما أخبر الله جل وعلا. ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [سورة النساء:٨٥]. وقال عليه الصلاة والسلام «ما من نفسٍ تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها» ولم يقل نبينا ﷺ أنّه يكون عليه مثل وزره.
- ومن الفروقات أن صاحب البدعة لا يرجى له التوبة كما سيأتي معنا،

- وأن المبتدع أيضاً يحاج عن بدعته ويجادل عنها، بخلاف صاحب الكبيرة. فإنه يعترف، ويعلم أنها معصية، ولا يجادل عنها غالبا.
- كذلك باب البدعة من الشبهات، وهي أقوى وأنكأ من باب الشهوات.
- كذلك أيضاً أن البدعة يتجاوز صاحبها يتجاوز صاحبها فيها ويفتري على الله ﷻ بخلاف صاحب المعصية فإنه لا يفتري على الله جل وعلا.
- وأيضاً جنس البدع أشد من جنس الكبائر، وليس معنى هذا أن كل بدعةٍ هي أكبر من الكبائر، فهنالك من البدع ما الكبائر أعظم منها، لأن البدع منها بدع صغيرة، منها بدع كبيرة مكفرة، منها بدع غير مكفرة منها مغلظة، ومنها غير مغلظة.

إذاً السلف ﭫ كانوا ينكرون البدع ويبالغون في ردها، ويحذرون منها أشد التحذير لأنها كما قال بعض أهل العلم سم الدين، وهي سبب الفرقة بين المسلمين، وهي التي يهدم بها الدين، روي عن الشافعي ﭬ أنه قال: لأنّ يلقى الله العبد بكل ذنبٍ ما خلا الشرك خيرٌ له من أن يلقاه بشيء من الهوى. قال العلامة ابن القيم ﭬ كما في (مدارج السالكين): واشتد نكير السلف والأئمة لها أي البدعة، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا في إنكار الفواحش والظلم والعدوان، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد.

قال المصنف رحمة الله علينا وعليه: بَابٌ مَا جَاءَ فِي أَنَّ اللهَ احْتَجَزَ التَّوْبَةَ عَلَى صَاحِبِ الْبِدْعَةِ. هذا التبويب هو عبارة عن تكملة للباب السابق الذي فيه أن البدعة أشد من الكبيرة.

ومن أوجه ذلك أن صاحب البدعة محتجز عنه التوبة، بخلاف صاحب المعصية فباب التوبة مفتوح، وليس معنى هذا أن كل صاحب بدعة محتجزة عنه التوبة كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

وعموماً فهذا حديث أنس بن مالك ﭭ عند الطبراني في الأوسط. وعند البيهقي في الشعب ورواه أيضاً أبو الشيخ بسندٍ صححه الإمام الألباني ﭬ تعالى كما في السلسلة

الصحيحة (رقم: ١٦٢٠) ولفظه «إِنَّ اللهَ احْتَجَزَ التَّوْبَةَ عن كلِّ صاحِبِ بِدْعَةٍ»(١). وفي رواية احتجب.

قال المصنف: هَذَا مَرْوِيٌّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ﷺ وَمِنْ مَرَاسِيلِ الْحَسَنِ.

وَذَكَرَ ابْنَ وَضَاحٍ عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ يَرَى رَأْيًا، قال بعض العلماء أي رأي الخوارج، فَتَرَكَهُ، فَأَتَيْتُ مُحَمَّد بنَ سِيرِينَ، فَقُلْتُ لَهُ أَشَعَرْتَ أَنَّ فُلَاناً تَرَكَ رَأْيَهُ؟ يعني هذا الرجل فرح أن ذاك ترك البدعة؟ وتاب منها، فَقَالَ: انْظُرْ إِلَى مَاذَا يَتَحَوَّلُ؟ إِنَّ آخِرَ الْحَدِيثِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِن أَوَّلِهِ أي أشد على الخوارج؛ لِأَنَّهُ ﷺ يَقُولُ « يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمْيَةِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ». وهذا هو الشاهد «ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ» فابن سيرين رحمه الله. يخبر أن صاحب البدع إذا تاب منها فإنه ينصرف إلى غيرها ولا يعود إلى رشده.

وَسُئِلَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل رحمه الله عَنْ مَعْنَى ذَلِكَ فَقَالَ: أي عن معنى الحديث «إِنَّ اللهَ احْتَجَزَ التَّوْبَةَ عن كلِّ صاحِبِ بِدْعَةٍ» فقَالَ: لَا يُوَفَّقُونَ لِلتَّوْبَةِ.

هذه المسألة للعلماء في الكلام عنها أقوال:

- من العلماء من قال إن المراد بالحديث من أشرب قلبه بالبدعة كما في الحديث الذي مر معنا تتجارى بهم الأهواء، وهذا الذي رجحه الشيخ صالح آل الشيخ، فهؤلاء لا يوفقون للتوبة الذين آثروا البدعة وافتروها على الله وتعمدوا ذلك، وقدموها وآثروها على السنة والإتباع فهؤلاء لا يوفقون للتوبة.
- ومن العلماء كابن سيرين من قال: إنه على عمومه ".. أنظر إلى ماذا يتحولن آخر الحديث أشد عليهم، فابن سيرين رحمه الله تعالى يرى أن صاحب البدعة لا يوفق

---

(١) رواه أبو الشيخ في ((طبقات المحدثين بأصبهان)) (٣/٦٠٩)، وابن أبي عاصم في ((السنة)) (٣٧)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٤/٢٨١) (٤٢٠٢)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٧/٥٩)، والضياء في ((الأحاديث المختارة)) (٦/٧٣) (٢٠٥٥). من حديث أنس رضي الله عنه. قال الهيثمي (١٠/١٩٢): رجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي، وهو ثقة، وحسن إسناده السفاريني في ((لوائح الأنوار السنية)) (١/٢٠٣)، وصححه الألباني في كتاب ((السنة لابن أبي عاصم)).

للتوبة الكاملة، لا يوفق للتوبة الكاملة يعني يتوب جزئياً ولكن لا يسلم من آثار الابتداع، وهذا دليل على أن السلف رحمة الله علينا وعليهم كانوا يعرفون خطورة الأهواء، والبدع، وكانوا يحذرون منها وكانوا يبالغون في التنفير عنها لأنها تفسد الأديان.

- وذكر بعض العلماء أنه بمعنى الغالب أي غالب أهل البدع لا يتوب، وإلا فباب التوبة مفتوح، وهذا مما ينبغي أن يكون في أذهاننا جميعاً، أن باب التوبة مفتوح لجميع للعالمين للكفار والمنافقين، وكذلك المجرمين والمبتدعة والعصاة، باب التوبة مفتوح للجميع، فمن تاب وصدق في توبته تاب الله ﷻ عليه.

وهنا تنبيه يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: أما أهل البدع فتوبتهم بمحض اتباع السنة، ولا يكتفى منهم بذلك أيضاً حتى يبينوا فساد ما كانوا عليه من البدعة، إذ التوبة من الذنب هي بفعل ضده، ولهذا شرط الله تعالى في قوله ﷻ في توبة الكاتمين شرط الله البيان لأن ذنبهم لما كان بالكتمان كانت توبتهم منه بالبيان، قال تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [سورة البقرة:١٦٠]. قال: وذنب المبتدع فوق ذنب الكاتم لأن ذاك كتم الحق وهذا كتمه ودعا إلى خلافه، فكل مبتدعٍ كاتم ولا ينعكس، والله المستعان.

فنسأل الله جل وعلا أن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبيه وعلى وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس التاسع

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا آله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

فسبحانك اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم انفعنا بما علمتنا وارزقنا علما ينفعنا، لك الحمد على كل حال ونعوذ بك من حال أهل النار.

يقول المصنف رحمة الله علينا وعليه: باب قول الله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٥ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٦ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾ [سورة آل عمران:٦٥-٦٧].

هذه الترجمة والتبويب لهذه الآية الكريمة مفاده أن مآل البدع رغبة أصحابها عن الإسلام الصافي وعن التمسك به، فالمصنف رحمه الله تعالى يريد أن يبين خطورة البدع والإعراض عن السنة النبوية قول الله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ هذه الآية الكريمة فيها خطابٌ لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وهنا استفهام توبيخي كيف تحاجون وتجادلون في إبراهيم؟ اليهود يقولون كان يهوديا والنصارى يقولون كان نصرانيا فالله سبحانه وتعالى يرد عليهم، ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ يعني إبراهيم قبل وجود اليهود وقبل وجود النصارى أفلا يكون في ذلك يعني كفاية عن هذه المحاجة الباطلة، ثم بعد ذلك بين الله سبحانه وتعالى أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولم يكن نصرانياً ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين، ففي هذه الآية

الكريمة أن من تشبه باليهود والنصارى فانتسب إلى الرسول-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أو انتمى إلى الإسلام وهو بعيدٌ عن الإسلام أو هو مبتدعٌ في دين الله ﷻ ما ليس منه فإنه قد تشبه باليهود والنصارى، فاليهود والنصارى ينتسبون إلى إبراهيم وليسوا على دين إبراهيم عليه السلام بل عندهم من البدع، والشركيات والأباطيل ما لم يكن عليه إبراهيم عليه السلام.

قال: وقوله تعالى ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾ [سورة البقرة: ١٣٠].

﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ يعرض عنها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ السفه هو خفة العقل وهنا ﴿سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ بمعنى ظلمها ودسها. قال ﷻ ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ لأن إبراهيم على التوحيد وعلى الإسلام الصافي قال تعالى ﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾ فدلالة هذه الآية ظاهرة أن من أعرض عن هدي نبينا ﷺ فإنه قد رغب عن سنته-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- والمصنف استدل بهذه الآية على أن الذين يبتدعون في دين الله ويتبعون الأفكار المخالفة للشرع فإنهم قد رغبوا عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وسيأتي الحديث الذي يدل على أن مراد المصنف هو هذا .

وفِيهِ حَدِيثُ الْخَوَارِجِ وَقَدْ تَقَدَّمَ حديث الخوارج الذي في الصحيحين وفيه أنهم «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمْيَةِ» وقد تقدم أن هذا المروق:

- كلي وذلك في حق من أعرض عن الدين وعمل بأسباب الردة عياذاً بالله جل وعلا، أو آثر غير دين الإسلام وفضله على دين الإسلام.
- وهنالك خروجٌ جزئي وهو خروج أهل البدع.

البدع لا تكفر، والتي لم يستحلها أهلها، وقد أجمع الصحابة على أن الخوارج ليسوا بكفار كما نقل ذلك عنهم ابن المبارك وغيره رحمهم الله، إذن فالمصنف يستدل بأن من ابتدع بدعة فإنه قد رغب عن السنة بقدر بدعته.

وفيه أنه ﷺ قال: «إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ» والحديث في الصحيحين قال بعض علماء لم يصرح باسمهم ستراً لهم ولعدم الحاجة إلى ذكر الاسم، وفي بعض الروايات أنهم آل أبي العاص، وفي بعضها أنهم آل أبي طالب، وقال بعض العلماء أن الراوي حذف الاسم مراعاةً لمشاعر ذريتهم، وعلى كل حال فالعبرة بمفاد الحديث لا بتسمية هذا الشخص، فبين نبينا ﷺ أن أولياءه هم الذين يعملون بسنته، وهم الذين يتقون الله ﷻ هؤلاء هم أولياؤه في الدنيا والآخرة، وفي هذا الحديث الرسول يتبرأ من أقربائه الذين ليسوا على سنته فكيف بمن ليس من أقربائه؟ إذا كان قد بطأ به عمله فإنه وإن كان رفيع النسب أو قريب النسب للنبي ﷺ فإنّ ذلك لا ينفعه.

وَفِيهِ أَيضاً عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذُكِرَ له أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ قال بعض الصحابة جاءوا إلى الرسول ﷺ لبعض أزواج النبي ﷺ يسألونهن عن عمله في السر فكأنهم تقالوها، يعني قالوا الرسول قد غفر له ما تقدم من ذنبه فنحن بحاجة إلى أن نزيد عليها.

قَالَ بَعْضهُمْ أَمَّا أَنَا فَلَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ الآخَرُ أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَلَا أَنَامُ، وَقَالِ الآخَرُ أَمَّا أَنَا فَلَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَال الآخَرُ أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ وَلَا أُفْطِرُ، فقال: ﷺ «لَكِنِّي أَنَامُ وأَقُومُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرْ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وآكُلُ اللَّحْمَ، فَمَن رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِي»، وفي رواية أنه قام خطيباً في الناس فقال ما بال أقوام...

قال المصنف رحمه الله: فَتَأَمَّلْ! إِذَا كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ لَمَّا أَرَادَ التَّبَتُّلَ لِلْعِبَادَةِ، قَالَ فِيهِ هَذَا الْكَلَامَ الْغَلِيظَ، وَسَمَّي فِعْلَهُ رُغُوباً عَنِ السُّنَّة، فَمَا ظَنُّك بِغَيْرِ هَذَا من الْبِدَعِ؟ وَمَا ظَنُّك بِغَيْرِ الصَّحَابَةِ ؟! الله أكبر ما أبلغ هذا الكلام؟ إذا كان الرسول يقول هذا تبرؤاً ممن كان هذا حاله من أراد الزيادة في العبادة والمبالغة فيها فكيف بغيره ممن رغب عن السنة إلى البدع؟ ترك الإقبال

على العبادة وأقبل على البدع والمحدثات، ترك السنن وأحدث البدع، كما قال بعض العلماء: ما أحدث قومٌ بدعةً إلا وتركوا مكانها سنة.

قال: وَمَا ظَنُّك بِغَيْرِ الصَّحَابَةِ؟! الله أكبر، هؤلاء من أصحاب النبي ﷺ يتبرأ رسول الله ﷺ ممن أراد الاستمرار على هذه المبالغة، وعلى هذا التبتل، والانقطاع إلى العبادة والزيادة على ما كان عليه النبي ﷺ

والظن بهؤلاء الصحابة أنهم تركوا ما حذرهم منه نبينا ﷺ وإنما أرادوا فعل ذلك من أجل الزيادة في العمل الصالح، ومن أجل الإقبال على العبادة التي تقربهم من الله جل وعلا، ففي هذا الحديث النهي عن الغلو في العبادة.

قال نبينا عليه الصلاة والسلام «أَن الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»، وقال نبينا ﷺ «إِنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّه أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَل» فالمسلم الموفق لا يغتر بكثرة العمل وإنما يحرص على كيفية وإتقان العمل، ويسأل من ربه القبول والثبات حتى الممات.

وقد جاء عن نبينا ﷺ في حديث معاذ عند أحمد بسندٍ حسن ﷺ قال: «أن أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ أَيْنَ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا» هذا فيه أن الوَلاية الفتح هي المحبة، فالرسول يحب المتقين ويحب المتمسكين.

وعلى كل حال فخلاصة هذا الدرس أنه ليس من انتسب إلى أحدٍ، انتسب إلى الدين، إلى الإسلام يكون صادقاً وإنما ينظر إلى عمله، والضابط في ذلك التمسك بالسنة فمن كان قوله وفعله متمسكاً في قوله وفعله بسنة النبي ﷺ فإنّه يكون على خير، ويكون صادقاً في انتسابه إلى النبي ﷺ.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبيه وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أما بعد:

فيقول المصنف رحمة علينا وعليه:

باب قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الروم: ٣٠].

في هذا الباب بيان أن هذا الدين هو دين الفطرة والتوحيد، وأن البقاء عليه والثبات والاستقامة على ما أتى فيه واجبٌ على كل مسلم، فمن أحدث حدثاً فقد خالف الفطرة التي خلق الله الناس عليها، ولهذا كانت الترجمة في هذا الباب للآية الكريمة آية الفطرة، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ فأهل الأهواء والبدع خالفوا الفطرة، وخالفوا السنة.

وقوله ﷺ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ المراد إخلاص القصد لله تبارك وتعالى، وإنما خص الوجه بالذكر لشرفه.

وقوله ﴿حَنِيفًا﴾ الحنيف هو المائل عن الشرك المقبل على التوحيد.

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أي خلقهم عليها، فخلق الناس على التوحيد، وعلى التعظيم لله رب العبيد سبحانه.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ عن مجاهد أنه قال: أي لدينه، والمراد من هذا النهي عن تبديل فطرة الله، وعن تبديل خلق الله سبحانه سواءً تبديل الخلق الحسي الجسدي أو تبديل الخلق الإيماني القلبي وهي الفطرة كما ذكر ذلك أهل العلم.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [سورة البقرة:١٣٢].

في هذه الآية وصية إمام الحنفاء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وكذلك يعقوب عليه السلام كلٌ أوصى ذريته وأبناءه بهذا الدين وبهذه الفطرة وبالثبات عليها، وعدم التغيير والتبديل ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي مستسلمون لأمر الله سبحانه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [سورة النحل:١٢٣].

الله سبحانه وتعالى أوحى إلى إمام المتقين عليه صلوات رب العالمين أن يسلك سبيل نبيه وخليله أبيه إبراهيم عليه السلام الذي وصفه الله بأنه كان حنيفا وما كان من المشركين، وهذا هو شأن جميع النّبيين عليهم صلوات رب العالمين.

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلاَةً مِنَ النّبيينَ، وَإِنَّ وَلِيِّي أَبِي وَخَلِيلُ رَبِّي، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النّبِي وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

لكل نبيٍ ولاة من النّبيين أي يتبعون شريعته، واختص الله نبيه عليه الصلاة والسلام بأن جعل وليه أباه إبراهيم خليل الرحمن فكانت ملة المصطفى محمد ﷺ تابعة ملة إبراهيم التي خلصت من الشرك، والتي صارت في الحنيفية هي الغاية، ولذلك فإن السجود للمخلوقين سجود التحية كان في بعض أديان الأنبياء ومللهم وشرائعهم جائزاً أن يسجد الإنسان سجود تحية، لكن في دين إبراهيم وفي دين نبينا محمد ﷺ لم يكن جائزا.

---

(١) سنن الترمذي ت بشار ٥/٧٣ ح(٢٩٩٥)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (١)

ففي هذا بيان أهمية الحفاظ على الفطرة؛ فإن الله ﷻ إنما ينظر إلى القلوب، وهل ما زالت على توحيدها وإخلاصها؟ أم إنها غيرت وبدلت؟ وأشربت الأهواء والشهوات عياذاً بالله.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ، عَنِ النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ» (٢) أي مُتقدمكم.

الرسول الله ﷺ يتقدم أمته إلى الحوض الذي يعطيه الله يوم القيامة، ولكل نبي حوض يسقي أمته، لكن حوض نبينا ﷺ أفضلها.

فاختصه الله جل وعلا بأن أعطاه الكوثر الذي يصب من الجنة، فهو يسبق أمته عليه الصلاة والسلام ليسقيهم.

«لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي، يَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» (٣)

فهذا الحديث وما سيأتي بعده يدل على أن مراد المصنف رحمه الله في هذه الرسالة–رسالة فضل الإسلام–والفطرة التي فطر الله عليها الناس أنها هي السنة وأنها هي السلامة من الأهواء والبدع وفي هذا خطورة البدع وفيه تحذير شديد وزجر أكيد، وفيه كذلك أيضاً بيان عاقبة أهل البدع والأهواء، وأنهم يحرموا يوم القيامة بل ويطردوا من حوض النّبي ﷺ ما السبب؟ السبب الإحداث في دين الله؛ فالإحداث في دين الله جل وعلا من التغيير والتبديل لدين الله، والخروج عن دعوى الإسلام والبدع والأهواء هي سبب للعقوبات الدنيوية كما مر معنا ذكر بعضها من حرمان التوبة وغير ذلك، وفيها عقوبات أخروية من حرمان هذا الفضل العظيم، والإكرام من الله ﷻ ثم من نبيه ﷺ بالشراب من الحوض الشريف.

---

(١) صحيح مسلم ١٩٨٧/٤ ح(٢٥٦٤)

(٢) صحيح البخاري ١١٩/٨ ح(٦٥٧٥)، أخرجه مسلم في الفضائل باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته رقم ٢٢٩٧

(٣) صحيح البخاري ٤٦/٩ ح(٧٠٤٩)

ولهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ(١) مُحَجَّلَةٌ(٢) بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ(٣) بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ–يكون لهذا الوضوء ولمواضعه نور يعرف به أهله يوم القيامة–، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا»(٤)

وللبخاري «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، قُلْتُ أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى، فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ»(٥) وهمل النعم: الغنم بلا راع.

ولهم في حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما: فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة المائدة:١١٧]. فهذا فيه أن المسلم يخاف على نفسه من البدع والأهواء ومن عواقبهما في الدنيا والآخرة، فهذا الحديث بهذه الروايات عن هؤلاء الصحابة فيه بيان للخوف الشديد من عاقبة البدع والأهواء.

ولهما عنه مرفوعا «مَا مِن مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ» كما تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِن جَدْعَاءَ؟ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُم تَجْدَعُونَهَا ثُمَّ قَرَأَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ

---

(١) الغر: البياض في الوجه.

(٢) التحجيل: البياض في اليد أو في الرجل.

(٣) دهم: سود.

(٤) صحيح مسلم ٢١٨/١ ح(٢٤٩)

(٥) صحيح البخاري ١٢١/٨ ح(٦٥٨٧)

ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [سورة الروم:٣٠].» متفقٌ عليها.

ولهما أي بخاري ومسلم عنه أي عن أبي هريرة ﷺ أن النّبي ﷺ قال: «ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ» أي إذا كانا يهوديين «أوْ يُنَصِّرَانِهِ» إذا كانا نصرانيين «أوْ يُمَجِّسَانِهِ» كذلك.

قال «كما تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ» يعني سالمة من التقطيع ونحو ذلك فالجاهليون كانوا يقطعون الآذان لعقائد باطلة.

ثم قرأ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [سورة الروم:٣٠]. هذه الآية تفسر قول الله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة الروم:٣٠].

وعن حذيفة ﷺ قَالَ: كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّا كُنَّا في جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بهذا الخَيْرِ، فَهلْ بَعْدَ هذا الخَيْرِ شَرٌّ؟ قالَ: «نَعَمْ»، فَقُلتُ: هلْ بَعْدَ ذلكَ الشَّرِّ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلتُ: وَما دَخَنُهُ؟ قالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بغيرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بغيرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ منهمْ وَتُنْكِرُ» وهذا مما أراد المصنف الاستدلال به في هذا الباب؛ فهؤلاء الذين فيهم الدخن ويهدون بغير هدي نبينا ﷺ ويدعون إلى غير سنته هم أهل البدع والأهواء.

فَقُلتُ: هلْ بَعْدَ ذلكَ الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: «نَعَمْ، فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ، ودُعَاةٌ علَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَن أَجَابَهُمْ إلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قالَ: «قَوْمٌ مِن جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بأَلْسِنَتِنَا» يدل أيضاً على أن أهل البدع والأهواء هم ممن يدخل في هذا وأنهم من الشر الذي يكون في هذه الأمة، وأنهم يدعون إلى جهنم بهذه البدع والأهواء التي تخالف دين الله، والتي تسبب هدم الإسلام.

قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، فَمَا تَأْمُرُنِي إنْ أَدْرَكَنِي ذلكَ؟ قالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وإمَامَهُمْ» وهذا مما لا يعمل به أهل البدع والأهواء فإنهم لا يدعون إلى طاعة ولي الأمر وإلى لزوم الجماعة

بل يحبون الفرقة يوالون من والاهم ويعادون من عاداهم، يوالون على بدعهم، ويعادون من تركها وحاربها وأنكرها.

فَقُلتُ: فإنْ لَمْ تَكُنْ لهمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إمَامٌ؟ قالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، ولو أَنْ تَعَضَّ علَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ علَى ذلكَ» وهذا فيه أهمية العزلة وأنها عبادة جليلة في وقت اشتداد الفتن لمن خاف على نفس. أخرجاه أي البخاري ومسلم.

وزاد مسلمٌ ثم ماذا؟ قلتُ: ثم ماذا؟ قال: «ثم يخرُجُ الدَّجَّالُ معه نَهَرٌ ونارٌ، فمن وقَعَ في نارِه وجَبَ أجرُه، وحُطَّ وِزْرُه، ومَن وقَعَ في نَهَرِه وجَبَ وِزْرُه، وحُطَّ أجرُه، قال: قلتُ: ثم ماذا؟ قال: ثم هي قيامُ الساعةِ». وفي آخر هذا الحديث ذكر نبينا ﷺ الدجال الأكبر إشارة إلى ما بينه وبين أهل البدع من ارتباط وأن الجميع في دجلٍ وتلبيسٍ على الناس.

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: تَعَلَّمُوا الإِسْلاَمَ، فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُوهُ فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ، وَعَلَيْكُم بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ فَإِنَّهُ الإِسْلاَم، وَلَا تَنْحَرِفُوا عَنْ الصِّرَاطِ يميناً ولا شِمَالًا، وَعَلَيْكُم بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسُلِّمَ، وَإِيَاكُم وَهَذِه الأهواء. انْتَهَى، فهذا أبو العالية الرياحي رحمه الله تعالى يحذر من البدع والأهواء، ويأمر ويوصي بالاستقامة على سنة النّبي ﷺ.

تَأَمَّل كَلَام أَبِي الْعَالِيَةِ رحمه الله تَعَالَى هَذَا ما أَجَلَّهُ واعْرِفْ زَمَانَهُ الَّذِي يُحَذِرُ فِيهِ مِن الأهواء، الَّتِي مَن اتَّبَعَهَا فَقَدْ رَغِبَ عَنْ الإِسْلاَم، وَتَفْسِيرَ الإِسْلاَم بِالسُّنَّةِ والإسلام، وَخَوْفَهُ عَلَى أَعْلَامِ التَّابِعِينَ وَعُلَمَائِهِمْ من الخُرُوجُ عَنْ السُّنَّةِ وَالْكِتَابِ يَتَبَيَّنُ لَكَ مَعْنَى قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ [سورة البقرة:١٣١]. وقوله ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [سورة البقرة:١٣٢]. وقوله تعالى ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [سورة البقرة:١٣٠]. وَأَشْبَاهُ هَذِهِ الأُصُولِ الْكِبَارِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْأُصُولِ وَالنَّاسُ عَنْهَا فِي غَفْلَةٍ

وَبِمَعْرِفَتِهَا يَتَبَيَّنُ لَكَ مَعْنَى الْأَحَادِيثِ فِي هَذَا الْبَابِ وَأَمْثَالُهَا.

وَأَمَّا الْإِنْسَانُ الَّذِي يَقْرَأُهَا وَأَشْبَاهُهَا وَهُوَ مُطْمَئِنٌ أَنَّهَا لَا تَنَالُهُ وَيَظُنُّ أَنَّهَا فِي قَوْمٍ كَانُوا فَبَادُوا ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف:٩٩].

وَعَن ابن مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: خَطَّ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّم خَطًّا، ثمَّ قَالَ: «هذا سَبيلُ اللهِ»، ثمَّ خَطَّ عن يمينِه وعن شِمالِه، ثمَّ قَالَ: «هذه السُّبُلُ الله؛ عَلَى كُلِّ سَبيلٍ منها شَيْطَانٌ يَدْعُو إليه»، ثمَّ تَلَا ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]. رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ.

هذا الحديث قد تقدم وسمعنا خلاصة هذا الدرس وأنه يتعلق بأهمية الاستقامة والثبات على الفطرة الإيمانية، وعدم التبديل والتغيير، والحذر من البدع والأهواء، وأنها خطرٌ على صاحبها في الدنيا والآخرة، وكذلك استفدنا من هذا أن المسلم يخاف على نفسه خوفاً من أن يكون من المطرودين والمبعدين عن رحمة الله، وعن إكرام الله، وعن إكرام رسوله صلى الله عليه وسلم في الآخرة.

أسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق لنا جميعاً، والثبات على دينه حتى الممات إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبيه وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدرس الحادي عشر والأخير

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرض والسموات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أزكى البريات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد:

فهذا هو الدرس الأخير من دروس شرح فضل الإسلام، نسأل الله ﷻ أن يرزقنا حسن التمام والختام.

قال رحمه الله تعالى: باب ما جاء في غربة الإسلام، وفضل الغرباء.

هذا الباب اشتمل معنيين:

- المعنى الأول: بيان غربة الإسلام الأولى والآخرة.
- فضل الغرباء وما لهم من الأجر عند الله.

وقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [سورة هود:١١٦].

هذه الآية استدل بها المصنف رحمة الله علينا وعليه على الغربة الإيمانية في أوساط المشركين والغافلين والمجرمين، وقد تبع بذلك الإمام الهروي صاحب (منازل السائرين) حيث استدل بها على بيان الغربة لأن الله جل وعلا قال: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾. يعني أناس قلة ما وظيفتهم؟ ينهون عن الفساد في الأرض، فالله ﷻ يقول هلا كان من القرون السابقة من ينجو من الشرك ومن يحذر منه وينهى عن الفساد في الأرض، فدلت الآية الكريمة على فضل أهل الغربة، وأنهم يصلحون حينما يفسد الناس، وأنهم يأمرون بالمعروف حينما ينتشر المنكر.

إذاً هذا من فقه المصنف رحمه الله أن يستدل بهذه الآية الكريمة على فضل أهل الغربة ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى

﴿ٱلْأَرْضِ﴾ وقد امتدح العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى هذا الاستنباط من صاحب (منازل السائرين)، حيث استدل بها على الغربة.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعا أي إلى النبي ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»[1]

رسول الله ﷺ يبين أن الإسلام بدأ غريباً وهذا معلوم من الدين بالضرورة أن نبينا ﷺ بعث ولم يؤمن به في بداية الأمر إلا القلة القليلة، وكان أول من آمن به من النساء خديجة ومن الرجال أبو بكر ومن الموالي زيد ومن الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين؛ فكانت دعوة الإسلام آنذاك غريبة.

كان نبينا ﷺ يدعو إلى الله وإلى دين الله سراً مدة ثلاث سنوات، وكان من آمن من أصحابه يؤذى، وكانوا كذلك يمكر بهم ويشردون ويسبون ويشتمون وربما يضربون..

فكان الإسلام آنذاك غريباً بين الناس؛ فالسائد هو الشرك والإسلام قليلٌ نادر، وهذا هو معنى الغربة،

(وسيعود غريباً كما بدأ)، هذا علم من أعلام النبوة حيث بين رسول الله ﷺ ما أطلعه الله عليه أن الإسلام سيعود أي في آخر الزمان بعد قوة أهل الإسلام، وبعد تأسيس دولة الإسلام، وعزة الإسلام والمسلمين، وانتشار الإسلام في أرجاء المعمورة أنه سينحسر، ويعود إلى الغربة بعد ذلك.

قال «فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» وطوبى لها عدة تفاسير:

من العلماء يقول هي شجرة في الجنة وهذا قد ثبت في حديثٌ عن النّبي ﷺ أنها شجرة في الجنة يسير عليها الراكب مئة عام ما يقطعها.

وقيل طوبى من الطيب والطيب لأنها حالة طيبة وصفةٌ حميدة لهؤلاء الغرباء؛ فهي مدحٌ لهم، وقيل غير ذلك.

---

(١) صحيح مسلم ١/١٣٠ ح(١٤٥)

وَرَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ من حَدِيثِ ابْن مَسْعُودٍ؛ وَفِيهِ: قِيلَ وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ» معناه أنه لم تجمع بينهم أنساب ولا أرحام ولا جوار ولا قرابة بل كل واحد من قبيلة ما الذي جمعهم؟ جمعهم الإيمان بالله، والتمسك بدين الله.

وَفِي رِوَايَةٍ «الْغُرَبَاءُ الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ» يصلح في وقت فساد الناس وهذا يسبب له العناء الكبير، والمجاهدة لنفسه، ويسبب له من السب أو الشتم أو اللعن أو الاستهزاء والسخرية حينما يكون غريباً في أوساط مجتمعٍ يعمل بشيءٍ لا يعملونه، ويترك ما هم عليه عاملون وما هم له فاعلون فهنا يكون غريباً في أوساطهم.

وَفِي رِوَايَةٍ للإِمَامِ أَحْمَدُ عَنْ سَعْدِ بن أَبِي وَقَّاصٍ؛ وَفِيهِ «فَطُوبَى يَوْمَئِذٍ لِلْغُرَبَاءِ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»

وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ كَثِيرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي»، وهذا اللفظ فيه بيان أن هؤلاء الغرباء لم يكتفوا بإصلاح أنفسهم، بل سعوا في إصلاح غيرهم، وسعوا في إصلاح أفسد الناس من الأخلاق والعقائد والمعاملات، وهذا الحديث حديث عوف بن زيد ﷺ: قال النّبي ﷺ: «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ»، فهؤلاء يومئذٍ لهم فظلٌ عظيم، وتأملوا ما الذي ورد في فضلهم مما يأتي في هذه الأحاديث

وَعَنْ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ؛ فَقُلْتُ يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [سورة المائدة:١٠٥]. فقال: أما واللهِ لَقدْ سَأَلْتَ عنْها خَبِيرًا، سَأَلْتَ عنها رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قال: «بَلِ ائْتَمِروا بِالمعروفِ، وتَناهَوا عنِ المُنكرِ، حتى إِذَا رَأَيْتَم شُحًّا مُطَاعًا، وهَوًى مُتَّبَعًا، ودُنْيَا مُؤْثَرَةً، وإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فعلَيكَ بِنَفْسِكَ ودَعْ العَوامَّ، فإِنَّ من ورائِكُم أَيَّامَ الصَّبرِ القَابِضُ فِيهِنَّ عَلَى دِينِهِ كَالقَبْضِ على الجَمْرِ، لِلعامِلِ فِيهِنَّ مِثلُ أَجْرِ خَمسِينَ رَجُلًا يَعمَلُونَ مِثلَ عَمَلِكُمْ» قُلْنَا أَوْ مِنْهُم؟ قَالَ «بَلْ مِنْكُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُودَ وَالتِّرْمِذِي. وهذا الأثر والذي تبعه أيضاً الحديث عن النّبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فيه شرفٌ عظيم وفضلٌ كبير للغرباء، وفي أول هذا الأثر أن أبا أمية سأل أبا ثعلبة الخشني الصحابي الجليل عن قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ هذه الآية قد يستدل بها الذين يتركون الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، بحجة "عليك نفسك" وهذه الآية لا تعني أن المسلم يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنما المقصود بها بعد أن تؤدي ما عليك فلا يهمك أمر من ضل إذا اهتديت وأديت ما عليك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ فمن الواجب في إصلاح النفس ومن أداء ما وجب عليها من حقوق أنك تأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا مما هو عليك ليس على غيرك فهو من الواجبات التي فرضها الله على المسلمين والمسلمات، فإذا أديت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يضرك بعد ذلك هل صلح فلان؟ أم فسد؟ ضل أم اهتدى.

ثم ذكر أن من ورائكم أن الرسول أخبر عن أخبار قال: «إِنَّ من ورائِكُم أيَّامَ الصَّبرِ القابض فِيهِنَّ عَلَى دِينِهِ كَالقَبْضِ على الجَمْرِ» وهذا فيه دليل على الكربة في وقت الغربة، ودليل على الغصة في وقت الفتن والمحن، فالمؤمن يعاني من نفسه ويعاني من أقربائه، ويعاني من جيرانه ويعاني من أصحابه، ويعاني من المجتمع باسره، فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن للعامل فيهن مثل أجر خمسين من الصحابة، فالصحابة تعجبوا قالوا منا أو منهم؟ قال بل منكم، وليس معنى هذا إذا كان الغريب في آخر الزمان يعطى أجر خمسين من الصحابة أنه أفضل منهم؛ فالصحابة ﷺ قد اصطفاهم الله لصحبة نبيه، اختارهم الله جل وعلا من هذه الأمة بأسرها فجعل هم أصحاباً ووزراء وسفراء لنبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وإنما يكونون في جانب الأجر على العمل في وقت الكربة يكون أجرهم أعظم من أجر الصحابي الذي عمل هذه الأعمال في وقت عزة الإسلام وأمنه وانتشاره، لكن الصحابة أفضل من نواحي عديدة؛ فهم أفضل من حيث الصحبة، وهم أفضل بالجهاد، وهم أفضل بالهجرة، وهم أفضل بالسابقية إلى الإسلام وبما رضي الله به عنهم ورفع به درجاتهم إلى آخر ذلك من فضائلهم التي لا يمكن لأحدٍ بعدهم أن يدرك شأوهم.

وَرَوَى ابْن وَضَّاحٍ مَعْنَاهُ مِنْ حَدِيثِ ابْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وَلَفْظُهُ: «إِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ أَيَاماً الصَّابِرُ فِيهَا الْمُتَمَسِّكُ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ».

ثُمَّ قَالَ عَنْ بَنَى محمد بنُ سَعِيدٍ، أَنْبَأَنَا أَسَدٌ، قَالَ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَسْلَمَ الْبَصْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ أَخِي الْحَسَنِ يَرْفَعُهُ قَالَ «إِنَّكُمْ الْيَوْمَ عَلَى بَيِنَةٍ من رَبِّكُمْ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَتُجَاهِدُونَ في سَبِيلِ اللَّه ، وَلَمْ تَظْهَرْ فِيكُمْ السَّكْرَتَان، سَكْرَةُ الْجَهْلِ وَسَكْرَةُ

حُبِّ الْعَيْشِ، وَسَتُحُوِّلُونَ عَنْ ذَلِكَ، فَالْمُتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ لَهُ أَجْرَ خَمْسِينَ» قِيلَ مِنْهُمْ؟ قَالَ «بَلْ مِنْكُمْ».

وَلَهُ بِإِسْنَادٍ عَنِ الْمُعَافِرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ حِينَ يُتْرَكُ وَيَعْمَلُونَ بِالسُّنَّةِ حِينَ تُطْفَأُ» وهذا مرسل والحديث المرسل في الأصل ضعيف.

إذاً هذا بيان لصفات الغرباء وفضل الغرباء، فعلى المسلم أن يثبت على دينه، وأن يتمسك بهذه الفضائل العظيمة، وأن يحمد الله جل وعلا أن وفقه للاستقامة في زمن الفساد عند كثيرٍ من الناس، ومن هذا الباب لفتة إلى الرفق بالمسلمين والمؤمنين والمتمسكين بدين الله رب العالمين؛ لأن المسلمين إذا كانوا قلة والمتمسكين منهم أقل، فينبغي للمسلم أن يحافظ على إخوانه المسلمين، وأن يقومهم ويعلم جاهلهم، ويصوب مخطئهم، وهكذا يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويعينهم على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ والتمسك بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، وهنالك كتاب للحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله سماه (تنفيس الكربة في بيان حال أهل الغربة) ينبغي لمن استطاع أن يقرأ فيه وأن يتأمل في صفات الغرباء حتى يرجو من الله ﷻ أن يوفقه وأن يثبته فهذا خيرٌ عظيم.

بَابُ التَّحْذِيرُ مِنَ الْبِدَعِ.

التحذير من البدع في كتاب الله وفي سنة نبيه عليه الصلاة والسلام من الأدلة على ذلك الشيء الكثير، أما من القرآن فمنه قوله ﷻ ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الحديد:٢٧]. فبين الله ﷻ أن أهل الكتاب ابتدعوا أشياء ما كتبها الله ﷻ عليهم، فكان ذلك من أسباب ضلالهم وانحرافهم وقال الله جل وعلا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة الأنعام:١٥٩]. فبين الله ﷻ أن هنالك من يفرق دينه بالبدع والأهواء، فيتفرق في هذه السلوكيات وفيه كذلك السير إلى الله جل وعلا بسبب البدع والأهواء، وقد استدل بهذه الآية جماعة من أهل العلم على التحذير من البدع.

وأما من السنة : عَنِ الْعِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ ﷺ قَالَ «وعظَنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موعظةً بَلِيغَةً، وجِلَت مِنْهَا الْقُلُوبُ وذرِفَت منها الْعُيُونُ قُلنا يا رسولَ اللَّهِ كأنَّها موعِظةُ مودِّعٍ فأوصِنا قالَ: «أوصيكُم بتقوى اللَّهِ والسَّمعِ والطَّاعةِ وإن تأمَّرَ عَلَيْكُم عَبْدٌ فَإِنَّهُ مَنْ يعِشْ منكُم فَسَيَرى اختِلافًا كثيرًا فَعَلَيْكُم بِسُنَّتي وَسُنَّةِ الْخُلَفاءِ الرَّاشدينَ المَهْديِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَكُوا بِهَا وَعَضُّوا عليها بالنَّواجذِ وإيَّاكُم ومُحدَثاتِ الأُمُورِ فإنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وَكُلُ بِدْعَةٍ ضَلَالةٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِي وَقَالَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. هذا الحديث يعتبر أصلاً في التمسك بالسنة، وأصلاً شرعياً في التحذير أيضاً من البدع والأهواء، فينبغي حفظه، لذلك جعله الإمام النووي رحمه الله في الأربعين النووية التي شملت أصول الدين، فينبغي حفظه وفهمه وتدبره والعمل به، والحديث واضح جداً أن الرسول لما أبلغ في الموعظة فتأثر الصحابة شعروا أنها موعظة مودع سألوه الوصية فأوصاهم بتقوى الله والسمع طاعة أي لولاة الأمر، وهذا من الأصول التي خالف فيها أهل البدع، يخالفون كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ما أجمع عليه المسلمون «وإن تأمَّرَ عَلَيْكُم عَبْدٌ» هذا فيه إشارة إلى أنه وإن كان الأمير غير أهلٍ فإنه يصبر عليه في طاعة الله جل وعلا.

قال «فَإِنَّهُ مَنْ يعِشْ منكُم فَسَيَرى اختِلافًا كثيرًا» وهذه إشارة إلى البدع والأهواء التي ستحدث بعد النبي عليه الصلاة والسلام ، ففيه بيان الداء والدواء.. أنه سيحصل تغير على ما كان عليه رسول الصحابة، فما هو المطلوب؟ قال «فَعَلَيْكُم بِسُنَّتي» التمسك يعني بسنة النبي عليه الصلاة والسلام ، وسنة الخلفاء الراشدين لماذا؟ لأنهم أعلم الناس بسنة النبي عليه الصلاة والسلام ، وهم المثل التطبيقي لسنة النبي ﷺ.

قال عليه الصلاة والسلام «تَمَسَكُوا بِهَا» هذا تأكيد، تأكيد لأمر التمسك بالسنة «وَعَضُّوا عليها بالنَّواجذِ» عضوا عليها بالنواجذ وهي مؤخرة الأضراس، وهذا فيه تأكيدٌ على تأكيد وحثٌ، يفيد الاهتمام بجانب التمسك بسنة النّبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، تأمل أن الرسول يقول «فعَلَيْكُم بِسُنَّتي» ولم يكتفي بذلك بل قال: «وَسُنَّةِ الْخُلَفاءِ الرَّاشدينَ» الذين هم مطبقون ومهديون لأنهم عملوا بسنة النبي، ثم أكد فقال «تَمَسَكُوا بِهَا وَعَضُّوا عليها».

قال «وَعَضُّوا عليها بالنَّواجذِ» وليس معنى هذا أن الشخص يبالغ بحيث يتكلف ما لا طاقة له به، أو أنه يزيد في سنة النّبي عليه الصلاة والسلام ، أو يصير غاليا كما صار عليه الخوارج

وغيرهم وكذلك بعض العباد والزهاد إلى درجة أنه ييأس الناس من رحمة الله، أو يبدع الناس أو يكفر الناس أو نحو ذلك.

قال «فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة» وهذا فيه النهي والتحذير من البدع أن أي محدثة فهي بدعة، وهذا فيه دليل على أن كل البدع ضلالة ولهذا قال «وَكُلُ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ» وفي رواية «وَكُلُ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ» فليس هنالك بدعة حسنة، وليس هنالك بدعة جائزة، كل البدع ضلالة.

قَالَ الدَّارِمِيُّ وَأَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بنُ الْمُبَارَكِ أَنْبَأَنَا عَمْرُو بنُ يَحْيَى قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِثُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى المسَجْدِ وهذا فيه الأدب وفيه الإقبال على العلم فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُم أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بعدُ.

أبو موسى الأشعري ﷺ كان الأمير وابن مسعود كان المعلم فجاء أبو موسى وقال: أخرج أبو عبد الرحمن؟ يعني ابن مسعود، قُلْنَا: لَا، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ فَلَمَا خَرَجَ قُمْنا إِلَيْهِ جَمِيعًا فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى يَا أَبَا عَبْدَ الرَّحْمَن إِنِّي رَأَيْتُ فِي المِسْجِدِ أمرًا أَنْكَرْتُه وَالْحَمْدُ للهِ لَمْ أَرَ إِلَّا خيرًا يعني أبو موسى الأشعري ﷺ أنكر شيئاً لكن لم يتكلم، لم يتكلم مع الناس انتظاراً لرأي وكلام الصحابي الجليل ابن مسعود ﷺ الذي بعث معلماً للناس، وهذا من الأدب ومن رد الأمور لأهلها مع أنّ أبا موسى يعتبر صحابياً جليلاً فاضلاً عالماً أميراً لكن هكذا كانوا يعرفون لمن فوقهم منزلته، ولمن هو أعلم منهم، ولكل ذي مقامٍ مقامة.

قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي المِسْجِدِ أمرًا أَنْكَرْتُه وَالْحَمْدُ للهِ لَمْ أَرَ إِلَّا خيرًا يعني هو رأى ذكرا لله ولكن الطريقة لم يوافق عليها أو يقرها، قَالَ: فَمَا هُو، فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ، قال: رَأَيْتُ فِي المسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقةٍ رَجُلٌ وَفِي أَيْدِيهِم حَصًى فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِئَةً فيُكبِّرونَ مئةً، فيقول: هلِّلُوا مِئَةً فيُهلِّلون مِئَةً، ويقول: سَبِّحُوا مِئَةً فيُسبِّحونَ مِئَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لهم؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُم شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ، هكذا الأدب، الآن كثير من الناس إذا وجد في المسجد شيئاً وهنالك إمام أو عالم أو شيخ إذا به يسب ويشتم ويلعن ويقيم الدنيا ولا يقعدها ويسبب النفرة للمسلمين والمصلين والصغار والكبار، وكذلك تحدث فوضى ومشاكل بسبب عدم رد الأمور لأهلها قال: أَفَلَا أَمَرْتَهُم أَنْ يَعُدُّوا سَيِئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِن حَسَنَاتِهِمْ شَيءٌ، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِن تِلْكَ الْحِلَقِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا

هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ قَالُوا يَا أَبَا عَبْدَ الرَّحمنِ حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ والتَّهْلِيلَ والتَّسْبِيحَ قَالَ فعُدُّوا سَيِّئَاتِكُم فَأَنَا ضَامِنٌ أَن لَا يَضِيعَ مِن حَسَنَاتِكُمْ شَيءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَدٍ مَا أَسْرَعَ هلَكَتِكُم هَؤُلَاءِ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لم تَبلَ. يعني لم تفنى. قال وَآنِيتُه لَمْ تُكْسَرْ وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَةِ مُحَمَدٍ أَو مُفْتَتِحُو بَابَ ضَلَالَةٍ وهذا الثاني هو المراد وهو الواقع الذي ليس له من دافع، قَالُوا وَاللَّه يَا أَبَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيرَ قَالَ وَكَم مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيرِ لَن يُصيبَه هذا الرد من ابن مسعود يعتبر قاعدة وأصلا لرد جميع البدع، يقال لهم إما أنكم مفتتحوا باب ضلالة وهذا هو الواقع، أو تزعمون أنكم على هديٍ أفضل من هدي محمد عليه الصلاة والسلام الذي لم يفعل هذه البدعة، ولم يقلها ولم يرغب فيها، قَالُوا وَاللَّه يَا أَبَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيرَ وهذه حجة كثير من أهل البدع اليوم، يقول لك نحن نيتنا حسنة ونريد الخير، قَالَ وَكَم مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيرِ لَن يُصيبَه الخير فيما اختاره الله وشرعه الله إِنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ قَومًا يَقْرَؤُونَ الْقُرآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيّةِ وَأَيمُ اللهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُم مِنْكُم يعني تفرس فيهم ابن سعود أنهم سيكونون من أهل البدع، وأهل الضلالة وأهل الفتن، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ.

فَقَالَ عَمْرُو بنُ سَلَمَةَ فَرَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الخوارجِ فصدق تفرس ابن مسعود رضي الله عنه،

هذا الأثر عن ابن مسعود وهذه القصة فيها فوائد عظيمة جداً، وفيها حكم وعبر ودروس وقواعد وأصول، منها ما أشرنا إليه وكلما تأمل الإنسان في مثل هذه الآثار فإنه يزداد علماً وبصيرةً وقوةً وحجة يرد بها على المخالفين المبطلين، والحمد لله رب العالمين.

قال المصنف: وَاللَّه أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ وَصَلَى اللَّه عَلَى مُحَمَدٍ وآله وَصَحبِهِ وَسَلَمَ تَسْلِيماً كَثِير يَوْمَ الدِّيْنِ.

ونحن نقول الحمد لله الذي يسر وأعان على ختم هذا الشرح الميسر نحن نعتبره ميسراً لم نقصد به التطويل الممل، ولم نقصد به التشتيت والتشعيب بالمسائل والإطالة في شرح بعض الآيات وبعضها أصول، وبعضها تعتبر قواعد كثيرة إيمانية وشرعية؛ فلذلك أحببنا الاختصار لأجل أن يكون هذا الدرس بلغة إلى ما بعده من المطولات بإذن الله جل وعلا.

وهنالك كتب كثيرة ألفت في التحذير من البدع لو قرأ الإنسان في كتب الحديث والصحاح والمسانيد لوجد التحذير من البدع واضحاً جليا، وكتب السنة (السنة للبربهاري) و(السنة للالكائي) وغيرهم من العلماء كـ (التوحيد) أيضاً لابن مندة وهنالك كتب ألفت خاصة في التحذير من البدع والأهواء، فمن اطلع على مثل هذه الكتب كـ (الاعتصام للشاطبي) أيضاً فإنه يستفيد خيراً كثيرا، ويتبين له أمر البدع والأهواء جليا وينبغي لنا أن نكون محذرين من هذه البدع وأن نكون منذرين من شرها وشؤمها وأضرارها على الإسلام والمسلمين.

نسأل الله سبحانه وتعالى الثبات على دينه حتى الممات، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه وعلى آله وصحبه أجمعين.